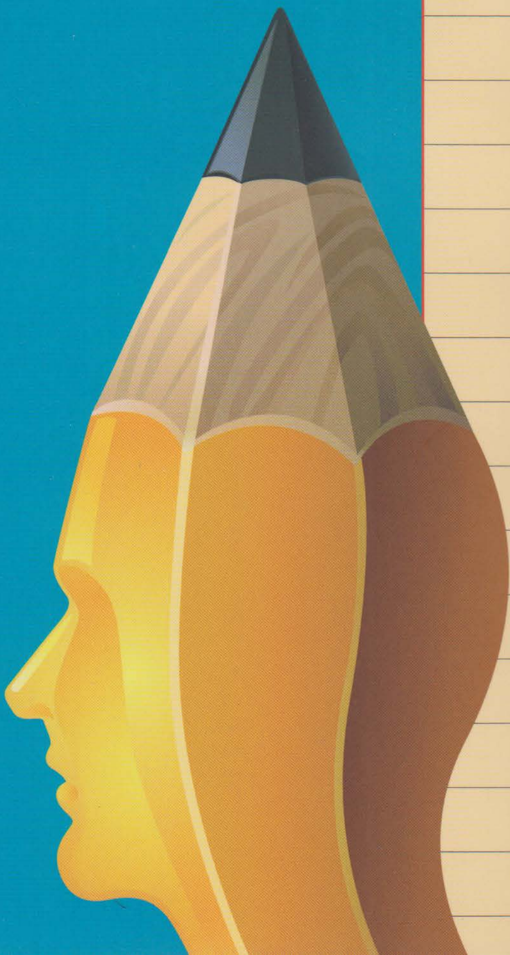
كيف تصبح كاتباً

بقلم

محمد السيد



دار القلم
دمشق

كيف تصبح كاتباً

دار القلم
دمشق

أسسها
محمد علي دولة
سنة ١٩٦٧م

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
www.alkalam-sy.com

الدار الشامية - بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

كيف تصبح كاتباً

بقلم

محمد السيد

دار القلم
دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

مكانةُ الكتابةِ والكتّابِ

١ ـ تمهيد:

يتبوّأُ الحرفُ العربيُّ مكانةً أولى في معركة إثبات الذّاتِ لأمّةِ الإسلام، لذا فهو يخوضُ لُججاً من المحاولات في الطريق إلى توضيح الوجه الحقيقي لمستقبل الأجيال القادمة من هذه الأمة.

ذلك الوجه الذي يحملُ سماتِ دينِ الإسلامِ، ويؤشّر إلى تبني هذه الأجيال العودةَ إلى يَنْبوعها الأصيل، وسبيلها القويم، المؤسَّسِ على عقيدة ربانية، نزل بها الروحُ الأمين على قلب رسولِ حبيبِ ﷺ، حمَل الأمانةَ إلى الناسِ بقوّةٍ وعدلٍ وإخلاصٍ، فسرت تلك العقيدةُ الإسلاميةُ وشريعتُها وسلوكياتُها في أجيالِ الأمةِ على مدى أربعةَ عشرَ قرناً من الزمان، تحمِلُها حروفٌ نورانيةٌ، انتشرت أشعتُها من خلالِ كلمات كتاب الله العظيم (القرآن الكريم) الذي تناولتْه هو والحديثَ الشريفَ أقلامُ الكتّاب والعلماء بالشرح والتفسير والبيان، والتوصيل إلى كل الأنحاء من هذا العالم.

وكان لدور القلم والكتابةِ المكانةُ الأولى في انتشار الخير العميم، خصوصاً عندما كان هذا القلمُ يخطُّ خطه من خلال العملِ والقدوةِ والالتزامِ بما جاء في الكتاب والسُّنَّة.

ولا بدّ من الإشارةِ في هذا التمهيد إلى حقيقةٍ راسخةٍ في مسيرة هذه الأمة؛ ألا وهي: أنَّ المعجزةَ الأولى والأساسيةَ في حياتها كانت وما تزالُ وإلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ فيها وما فيها، متمثلةً في كتاب الله الكريم، الذي لا يأتيه الباطلُ مِنْ بين يديه ولا مِنْ خلفه.

وفي ذلك ما يشيرُ إشارةً مباشرةً وواضحةً إلى أهمية الكلمةِ البليغة الملتزمةِ القوية الخالصة في بناء الأمم، وصناعة الأجيال، إذ إنَّ أوّل ما نزل على قلب رسول الله ﷺ من القرآن الكريم العظيم: ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: ١]، فكانت شعاراً ورمزاً وعملاً في أمَّةٍ أُميّةٍ، تحوّلت خلال عقودٍ من الزمان قليلةٍ إلى أمة قارئة، عالمةٍ قائدةٍ للأمم، وذلك بسحر الحرف الرسالي وبيانه السامق العالي.

٢ ـ ما جاء في أهمية الكتابة والكتّاب:

لا يستطيعُ أحدٌ أن يماريَ في أهمية الكتابة والكتّاب وأثرهما في الأمم، سلبيةً كانت تلك الآثار أم إيجابيةً، وأنَّ هؤلاء الكتّاب

ـ كتّاب الفكر أو العلم أو الأدب ـ هم الذين بأقلامهم تسطّرُ مصائرُ الأمم، وبأقلامِهم تتَّضِحُ معالمُ الحاضر والمستقبل.

ولقد عظَّم ربُّ العزة الحرفَ ومن يَسْطُرُوْنَهُ من ملائكته، فأقسم بالحرف وبالكاتبينَ له، فقال جلَّ من قائل: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، فالحرف، والقلم، وما يسطر به: كلُّها أدواتُ حرفةِ الكتابة، استحقّت لأهميتها أن يقسمَ ربُّنا بها.

وقد بيّن اللهُ لنا نحن البشر أيَّ سبيلٍ نتبعُ لنصلَ إلى فضيلة العلم والمعرفة، فقال ﷻ في محكم الكتاب العزيز: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]، فلا يمكن أن تمتلكَ أيُّها الأخ الكريم ناصيةَ العلم، ولا يمكن أن تَسْتَحْوِذَ على أدوات المعرفة إلا عن طريق القلم، أي الكتابة والكتّاب والكِتاب، فكم هي عظيمةٌ تلك المكانة والمهابة لهذه المهنة الراقية، إذا التزمتْ بقيم الحقِّ والهُدى والفطرة الإنسانية التي خلق الله الإنسان عليها!.

ولقد ميّزَ ربُّنا ﷻ ملائكتَه الكتبةَ على غيرهم من الملائكةِ، فذكرهم وحدَهم بمهنتهم، إذ قال في محكم الكتاب العزيز: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۞ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥ ـ ١٦]، والسفرة هم كتّاب الأسفار من الملائكة؛ فهم كرامٌ بررةٌ،

لأنّهم كانوا أُمناء أعظم ما تكونُ الأمانةُ على ما اسـتُحْفِظوا عليه من كتابةٍ للأقدار والآيات الربانية.

وليس هذا الذي أبديناه من بيانٍ لأهمية الكتابة والكتّاب هو نهاية المطاف في بابه.. بل إنك أخي الكريم سوف تجدُ في سـطورنا القادمة مزيداً من البيـان في هذا المجال، ليس آخـره مـا قاله الأصمعي لرجـل: «ألا أدلُّكَ علـى خليلٍ؛ إنْ صحبتَـه زانـك، وإنِ احتجتَ إليه مانك[1]، وإنِ اسـتعنتَ به أعانك؟ قال الرَّجلُ: نعم، فقال: عليك بالأدب».

والأدبُ نوعٌ مـن الكتابة يكتبُه كتّابٌ مبدعون، يقفون في قمّةِ قائمةِ الكتّاب، لِمَا لهم من تأثيرٍ نفسـي وحركي وعملي في نفوس الناس ومشاعرهم ووجدانهم.

ويكفـي أن نذكـرَ في هـذا المجال أنَّ أربعـةً من الكتّاب المسـلمين قـد بويعـوا بالخلافـةِ وهـم: عثمـان، وعلـي، ومعاوية ﷺ، ورابعهم عبد الملك بن مروان رَحِمَهُ اللهُ.

ولا ننسى ما وصل إليه كثيرٌ من الكتّاب من مكانةٍ وقدرٍ من مثل: الفتح ابن خاقان، والصاحب إسماعيل بن عَبّاد وغيرهما...

(١) قام بكفايتك.

وقد قال الشـاعر أبو الفياض الصابئ في مدح الصّاحب ابن عَبّاد:

أقـالَ اللهُ للأقدار سِيْرِي

وفي أقلام إسماعيلَ صيري[١]

وهـذا ابنُ الروميِّ يقولُ في مدح الكتابة والأقلام الكاتبةِ شِعْراً طيباً:

كَذَا قضى اللهُ للأقلامِ مُذْ بُرِيَتْ

أنّ السيوفَ لها مُذْ أُرْهِفَتْ خَدَمُ[٢]

وقد قيل قديماً: «**قيّدوا العلمَ بالكتابةِ**».

وقـال سُـقراط: «**مـا بنتـه الأقـلامُ لـم تطمعْ في دروسـه الأيامُ**»[٣].

فالعلـمُ لا تثبـتُ منفعتهُ وتدومُ إلا بالكتابـة، إذ لا تطمعُ الأيـام حينئذٍ في اندثاره وذهابه أدراجَ الرياحِ بفعل النسـيان وآفاتِ اللسان.

---

(١) محاضرات الأدباء، ص ١١٢.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٩.

وكلُّ هذه الأهمية للكتابةِ والكتَّاب، وكلُّ ذلك القدر الذي للكتّاب نابعٌ من أنَّ هذه المهنة تحتاجُ إلى إمكانيات مضاعفةٍ، وذكاءٍ فائقٍ؛ لأنَّ صاحب هذه المهنة يحتاجُ إلى التفكّر بالمعاني، وإلى اكتمالها في قلبه ومخيِّلته، ثم إلى بيانٍ ناصعٍ واضحٍ، في حروفٍ وكلماتٍ وجملٍ، يخطُّها قلمٌ ثابتُ الجنانِ، عالي البيانِ، ملتزمُ العقلِ والقلبِ والجوارحِ بقيم الربِّ الديان، الذي أرادَ لهذا الإنسان الهُدى والصلاح في هذه الدنيا، والفوز والفلاح.. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

وانظر ـ أخي القارئ ـ إلى ما تركه الأستاذ سيد قطب من أثرٍ عظيم في الأجيال، كما تنبّه إلى ما تركته كتاباتُ الشيخ محمد الغزالي والشيخ الدكتور يوسف القرضاوي من تأثير وتعديل في سلوك وأفكار الناس، وليس هؤلاء الذين ذكرنا إلا القليل من الكتّاب الذين امتدَّ أثرُهم وتأثيرهم، فكان الناسُ تبعاً لما نشروا من أفكارٍ بأقلامهم التي سطّرتِ الفكر والأدب.

* * *

الفصل الثاني

الموهبة

١ ـ نظرةٌ في الواقع:

افتح ناظريك، وأبحرْ معي في أسواق المدن العربية، ولنتوقف عند المحلاّت التي تسمِّى مكتبات، وهناك أمعنِ النظرَ في صدورِها المأزومةِ بشتّى البضائِع المصفوفة داخلَ كل غلافين، حاول أن تفتحَ الأغلفةَ، لتكتشفَ البضاعة الملقاة أحرفاً وكلماتٍ وجملاً داخلَ تلك المجلّدات، وسوف تجدُ بعد كدِّ الذِّهْنِ والعينِ، أنَّ الأمورَ في الغالب الأعمّ تربضُ خلفَ الوهم، ولا تتعدّى الثرثرةَ الشاحبةَ الألوانِ، الباهتةَ الطَّعْم، هذا إنْ لم يكن الأمرُ أجلَّ وأخطر، إذ تعوّدتِ العينُ على الوقوع في زاويةِ مرمى تشويهِ الحُلُم، ذلك الذي ذهبَ منه الشادون من مدّعي أرباب القلم هذه الأيام إلى إلقائنا على بوّابات الفجيعة من خلال رَمْينا بسهامِ حروفهم وكلماتِهم النابية عن مرمى الإبصار الجمعي لهذه الأمة تاريخاً وحضارةً وعقيدةً.

وإنّك إنْ حاولتَ فهم شيء ممّا يدورُ في ساحةِ الحروف العجماوات؛ لعاجلك ألمُ الشعور بأنَّ ذلك الغثاءَ كلَّه ناتجٌ من عدم الاعتبار بالنطق الأعلى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٤].

فارتادَ كلُّ مَنْ هَبَّ ودبَّ ساحاتِ الكتابة، مؤيَّداً ومدعوماً بأسلحةِ بعض الناشرين من الذين أضاعوا الأمانة، وجَرَوْا خلفَ التجارة، التي تلهبُها وتسيلُ لعابَها الأسماءُ المتداولة بغضِّ النظرِ عما تريقه أقلامهم فوق القراطيس من دماءِ الفكر والأدبِ البريئةِ.

٢ ـ ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾:

وإذن فالكتابةُ فنٌّ يقومُ أوَّل ما يقومُ بالموهبة، ويقتله ويأتي على الإبداع فيه الادّعاء، ويجبُ أن يعلمَ صاحبُ الموهبةِ أنَّها مخلوقةٌ فيه، وأنَّها من صنع اللهِ الذي أحسنَ كلَّ شيء خلقَه: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[البقرة: ١١٧].

فهو لا يدلُّ ولا يضلُّ ولا يتيهُ بتلك الموهبة، بل هو على العكس من ذلك، يحاولُ التواضعَ مع بَذْلِ الوسعِ لتوظيفِ المنحة الربانية، وتنميتها ورعايتها، لتكونَ في

خدمة الاستخلاف الرباني للإنسان المتمثّل في العبودية لله، واستعمار الأرض، وتسهيل الحياة عليها وترقيتها، بحيث تستقيمُ على النهج القويم، الذي أرسلَ اللهُ به جميع الأنبياء، من لدن آدم عليه السلام وحتّى رسولِنا الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

والبيانُ من أعظم الهبات الربانية للإنسان، إذا راعى فيه حقَّ الله، ووظّف موهبتَه في هذا الاتجاه، أنتج الخير العميم لهذا الإنسان، لذا كان من الضروري والواجب على كلّ مؤمن يُحِسُّ أنّ لديه موهبةَ البيانِ، أن لا يتوانى عن السير في ركب صقلها وتنميتها ورقيّها، ثم الخوض بها في سوق البيان، الذي ازدحمت فيه الأصواتُ الشاذّة، والأقلام المشبوهة، والترجمات المغرضة، وكادت أن تطغى على البيان الأبيض الناصع، الذي ساهم في تأخّر خطواته كثيرٌ من المسلمين القائمين على نشر الكلمة الطيبة وإذاعتها بين الناس، تأكل قلوبَهم في ذلك منازعاتُ التجارةِ والربحِ، ومناكفاتُ أن يخرجَ أي عمل على الهوى الذي يريده هؤلاء.. لا بل إن الحسدَ الحالقَ لكلِّ خيرٍ قد يكونُ أحدَ آكلاتِ القلوب والمواهب..

بينما نرى أنّ ما يجري على الضفة الأُخرى من المشهد الثقافي يتمّ بصورة عكسية تماماً؛ إذ تُشجَّعُ أيةُ موهبةٍ وتقدّم، وتشهر، ويعلى مقامُها لمجرّدِ أنّها تصبُّ في اتجاه مضادٍّ لمنهج البيان الرباني المنجي، كما أنّه يفسح في المجال لمنظومات الرأي وكلمات البيان، الذي يريدُ تفجير اللغة وتشكيلها من جديد، بحيث يضيع كلُّ البناء الثقافي المذخور في حروفها منذ خمسة عشر قرناً وحتى اليوم.

كما رأينا ارتفاع قاماتِ ما كانت لتظهر ـ حتى ترتفعَ ـ لولا أَنَّها وجدت نفسَها محاطةً بناشرين يذيعون كلَّ كلمةٍ تافهة تقولها، وكلَّ صيحةِ شرٍّ تنطلق من بين شفاهها، ثم تُزَفُّ كلُّ تلك الخبالات بأنواعٍ متنوعة من الزخرفة والدراسات، والقول وإعادة القول، والردّ وإعادة الردّ، حتى يصل الردحُ والتكرار إلى أبعد نقطة وآخر فرد في بوادي العرب ومُدُنهم.

٣ ـ بماذا تتجلّى الموهبةُ وتُعْرَف؟

وعودةٌ إلى موضوع الموهبة نقول: إنّ الكتابة عمليةٌ إبداعيةٌ، إذ إنّها تقوم على تشكيل الصور، وتوصيل المفاهيم والآداب والعلوم، والفكر القويم إلى الناس، بواسطة اللغة وأبجدياتها..

فهي بهذا عملية تكوينٍ وتشكيلٍ منطلقةٍ من قلب المنحة الربانيـة «الموهبـة» المحاطـة بهالـة مـن التوفيـق الرباني إن استُخدِمَتْ في السبيل القويم.

لذلك فإنّ العناصر التي تكوّن وتطلق الموهبة، أو بمعنى آخر: التي يتعرّف الشخص بها إلى وجودها عنده، وأنّه قادرٌ علـى عمليـة الكتابة، وإيصـال الأفكار، والصـور والمفاهيم إلى الناس بواسـطة الحروف والكلمـات والجمل.. إنَّ هذه العناصر تتمثّلُ فيما يلي:

أ ـ الذكاء الجيد:

إذ إنّ عملية التشـكيل تحتـاج إلى فكر تحليلي وتركيبي، ثم إلى قدرة على مزج المفارقات، ووصل الجملةِ بالأُخرى، حتـى تصلَ إلى تكوين فكرة عامة يُرادُ إيصالُها إلى الناس.. وهـذا لا يتسـنّى إلا إذا توفّر الذكاء الجيـد، فإذا لمس الفردُ في نفسـه القدرةَ على طرح الأفكار، وإمكانية انتقاء الصالـح منهـا، والقـدرة على التعبير عمّا جاء فيها شـفهيّاً، ثم لاحظ قدرتـه على التأثيـر في الآخريـن، واستحسـانهم لما يقول، فيعلـم أنّ ذكاءَه الكتابـيَّ خامـةٌ قابلـةٌ للانطـلاق في سـوق

الإبداع الكتابي، فليتوكّل على الله، وليبدأ السيرَ في المهمة بالخطوة الأولى، طالباً العون والتوفيق من الله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

ب ـ الخيال المتوازن:

فعملية الكتابة (والأدبية منها بصورة خاصة)، تحتاج إلى تكوين الأشياء والأفكار في مخيِّلة الكاتب، قبل أن يسطِّرَها بقلمه على القرطاس، ومن الطبيعي أن يلتزمَ هذا الخيالُ بالهدي الرباني، فلا يكون شططاً، يركض خلف الأحلام المريضة، أو الأحلام الجامحة مستحيلة التحقق، فيكون الإخفاقُ في الوصول إليها سبباً في اليأس أو التشاؤم أو الاكتئاب، وكل ذلك معادٍ للفطرة الربانية، التي أباحت للإنسان أن يتخيّلَ وينشئ الحُلُمَ المتوازن، الذي يخدمُ خلافته عن الله في الأرض.

ولقد كانت أحلامُ كثير من أدباء الغرب الأوروبي في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين متجهةً إلى دواخلهم، ومسافرةً إلى بواطنهم، التي انطوت على عجز بعيد الغور عن التواؤم مع مجتمعاتهم، التي هزّتها النَّقْلةُ الرأسمالية الإنتاجية، فراحوا يحلُمون بمجتمعات خيالية

أنتجتها دواخلُهم غيرُ السوية، السارحةُ في رؤًى فوضوية من كلِّ الأنواع، لـذا فقد جاءت نصوصُهم التي أنتجوها انطلاقاً من هذه الخيالات، مغرقةً في التخبطِ والجنونِ والخبال[١].

ولكن كيف يتسنّى للناشئ أن يكتشفَ وجود مثل هذا الخيال ضمن ملكاته التي وهبه الله إياها؟..

وللإجابة على هذا السؤال نقول: إنّ من السهل على الإنسان المثقّف أن يطرح الأسئلة التالية على نفسه:

١ ـ هل يتقنُ الربطَ بين الفكرة والفكرة؟.

٢ ـ هل يكثرُ من السؤال عمّا حوله، وما يسمع من أقوالٍ وما يرى من أعمال؟.

٣ ـ هل يحبُّ الاختلاءَ بنفسه في لحظات تأمل؟.

٤ ـ هل يتقن التنبؤَ بالنتائج النابعة عن تحليل مُحْكَمٍ؟.

٥ ـ هل يستوعِبُ آفاق الآخرين؟.

٦ ـ هل لديه القدرة على استعمـال أسـاليبَ جديدةٍ في التعبير؟.

(١) انظر: شكري عياد، المذاهب الأدبية والنقدية، سلسلة عالم المعرفة الكويتية.

هذه بعضُ الأسئلةِ المقترحةِ من الممكن أن يلقيها المرءُ على نفسه، فإذا وجد أن أكثرية الإجابات إيجابية، فقد تحقَّق فيه عنصرُ الخيال المناسب، وهذا يؤهّله لركوب الطريق من بدايته، بعد طلب التوفيق من الله، ثم الجِدُّ والدَّأبُ والرعاية والممارسة، فكلُّ ذلك كفيلٌ بوصوله إلى النتائج المرجوة، ليكونَ كاتباً باتجاه رباني رشيد.

ج ـ الهمة العالية والثقة بالنفس:

ليعلم المؤمنُ المتتوّق إلى امتلاكِ ناصية الكتابة أنّه في ساحاتِ مصارعةٍ، السبقُ فيها لمن يمتلكُ الأدواتِ، التي أهمها علوُّ الهمةِ، وسموُّ الهدف، والثقةُ العاليةُ بالنفس بعد التوكُّلِ على الله، وطلب التوفيق منه:

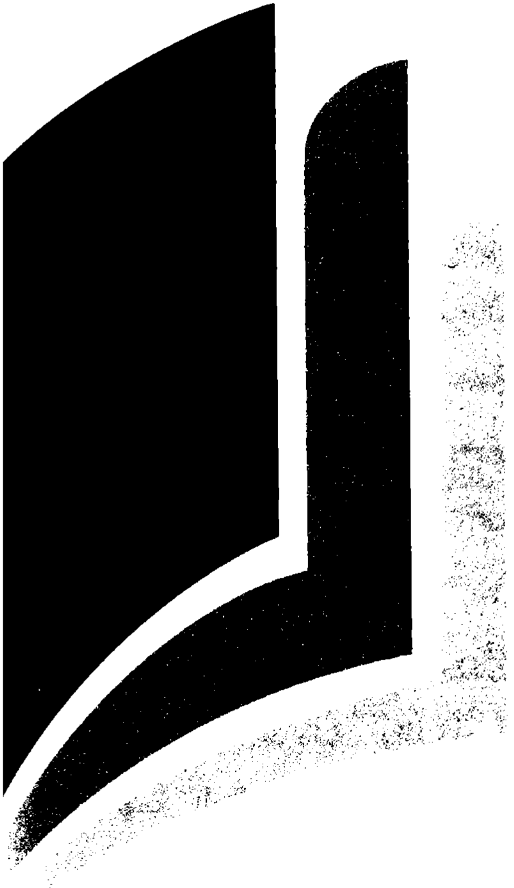
وما نَيْلُ المطالِبِ بالتمنّي
ولكنْ تُؤْخَذُ الدُّنيا غلابا[1]
وإذا كانتِ النفوسُ كِباراً
تعبتْ في مُرَادِها الأجْسَامُ[2]

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي.
(٢) البيت لأمير الشعراء أحمد شوقي.

فلتكن أخي الكاتبَ المؤمنَ من ذوي الهمم العالية الغالية، الواثقين بخطوهم، المصممين على الفوز في ساح الكلم الطيب الخيِّر، وليكن قدوتَك في ذلك حبيبنا ونبينا محمدٌ ﷺ، إذ جاءت قريشٌ بزعمائها يعرضون عليه كلَّ ما يغري، على أن يتركَ الأمرَ الذي أرسله الله به، فما كان جوابُه إلا أن قال لهم بأعلى همةٍ، وأعظمِ ثقةٍ، وأقدرِ تعبيرٍ: **«واللهِ لو وضعوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في يساري، على أنْ أتركَ هذا الأمرَ ما تركتهُ، حتى يظهرَهُ اللهُ، أو أهلِكَ دونه»** أو كما قال ﷺ.

وأنت أخي الكريم إذا تحققتْ لك هذه الثلاثيةُ الموهبيةُ من: **المنحة الربانية، والذكاء العالي، والخيال المتوازن، والهمة العالية، والثقة بالنفس،** فلتمسك بأول الطريق، ولتمضِ به مسلّماً بأدواته التي سنتطرّق إليها في فصل قادم إن شاء الله.

* * *



الفصل الثالث

تنمية الموهبة

١ـ المؤمن والكتابة:

إنّ وعي المؤمن بنفسه، ووعيه بربه وخالقه، وفهمَه لمهمته في الحياة من خلال الوعيين السالفين، يجعله يختارُ لنفسه الطريقَ السديد الذي يتقنه، للتعبير عن عميقِ إيمانه، وفهمه لمغزى وجوده المذخور في خَلة عظيمة رائعة هي «التبليغ»؛ تلك الخَلةُ التي يُبنى عليها صلاحُ الحياة، وصلاحُ الإنسان، وعلاقاته بالكون، وبالإنسان الآخر وبالحياة.

وإنّ مراكبَ اللغةِ والبيان هما أهمُّ ما يحملُ التبليغَ في طريقه إلى الآخر.. وكلّما كانَ البيانُ عميقاً بليغاً مؤثراً ازدادت مساحةُ انتشاره أفقيّاً وعموديّاً.. وهذا ما لا يملكه إلا أصحابُ المواهبِ والمنح الربانية.

فهل يكتفي صاحبُ الموهبة بالمنحة، ويقعد عندها لا يتجاوزها؟ أم أنّ هذه المنحة محتاجةٌ إلى اتخاذ الأسباب،

من أجل ترقيتها ونمائها وصقلها، وجعلها متأهبةً دائماً للأخذ بالأفضل والأبلغ والأقدر على الوصول إلى الناس؟.

دعك من قول القائلين العابثين: (الفنُّ للفنِّ)! والكتابة الفنية لا تحتمل الغرضَ، فهو يفسدُها!.. لأنّ هذا الاتجاهَ عبثٌ كله، غثاءٌ كله، تدميرٌ كله، فالقولُ مثلُ العملِ، إن لم تترتَّبْ عليه منفعةٌ وفائدةٌ للإنسان، تجعله دائماً قريباً من السداد والرشاد، يكون صاحبُه كمن يقفزُ في الهواء بلا هدفٍ، فهو إمّا أن يرتطمَ بأيٍّ شيء فيحطمه، أو يضيعَ مع الريحِ في الفضاء، مضيعاً كل من صدقه في لحظة من اللحظات.

والمؤمنُ الذي يكتشِفُ موهبته في الكتابة، مدعوٌّ إلى اتخاذِ كلِّ الأسباب لامتلاك ناصية البيان، واعتلاءِ أرفع صهوة من صهواته، وذلك بغيةَ ارتقاءِ شمم التبليغ، والوصول من أقصر الطرق وأسهلها وألينها قبولاً، وأبلغها أثراً، فهو على علمٍ أكيدٍ أنَّ هذه الموهبة ليست للتسلية والعبث، أو التضليل والإفساد، بل هي عاملةٌ في صميم الحياة الإنسانية؛ ترقية، وإعلاءً للقيم، وخدمة للإنسان، مهتدية بالإيمان العميق، المنطلق من قول رسول الله ﷺ: «**الخلقُ عيالُ اللهِ، أقربُهم إلى اللهِ أنفعُهم لعياله**»... وليس أقدرهم على الولوغ في

تحريك غرائزهم، وتحريضِ حيوانيتهم، وقتل القيم فيهم ببث فلسفات مزاجية أهوائية، يصنعها خيالُ الإنسان وعقلُه القاصرُ عن بلوغ مرامي القضايا الكبرى، بعيداً عن الهدي الرباني..

وأولئك مَنْ قال فيهم الأديب الرفيع مصطفى صادق الرافعي قولةً مفحمةً رادعةً مرددةً: «ناهيك بها عقولاً ضيّقةً معتلّةً، غلب عليها الكيدُ، وأفسدها التقليدُ، ونزع بها لؤمُ الطبع شرَّ منزعٍ، حتى استهلكَها ما أوبقهم من فسادِ الخُلقِ، وما يستهويهم من غوايات المدنية.. وكانوا في العلمِ كالنبات الذي خَبُثَ..»[1].

٢ ـ تنمية الموهبة:

إنَّ النطقَ بالكلمات، أو نقلها مباشرةً من حاضنتها في فكر الكاتب ومخيِّلته إلى الورق كلماتٍ منظومةً أو منثورةً، ومعاني رفيعة مجنّحة بالصور والبيان العالي، عمليةٌ تستوحي كلَّ المخزون الثقافي والفكري والروحي للكاتب، وتستحضر الخبرة والتجربة الإنسانية التي مرّت به، لتقومَ

(١) مقدمة الطبعة الثالثة من: إعجاز القرآن، نشر دار الكتاب العربي، ص ٩.

جميعاً في حشدِ كلِّ الألفاظ والمعاني المناسبة للتعبير عن التجربة الشعورية، التي يمرُّ بها هذا الكاتب في لحظةٍ ما...

وإذن فإنَّ الموهبةَ المذخورةَ تستنجد في زمن ما بكلِّ الجهود والتجارب والخبرات التي تُبْذَلُ من أجل الوصول إلى تعبير رفيع مؤثِّر فاعل نافع.

فهل من سبيل لمعرفة وسائل تنمية موهبة الكتابة عند من يجدها في نفسه من المسلمين؟.

نعم.. وإنّها أسبابٌ تتعلق:

* **بالعقيدة والسلوك والخلاق.**

* **بالاطلاع الواسع على فروع المعرفة.**

* **بالاطلاع الواسع والمستمر.**

* **بالمران والتأدب، والتجريب، وتهذيب اللسان.**

* **بفهم الجوِّ الذي يعيشه** (حياة وثقافة المجتمع المحلي وغير المحلي).

* **بإتقان مهارات العصر الذي يعيش فيه.**

وإننا في بقية السطور من هذا البحث، سوف نلقي الضوء على البند الأول من أسباب تنمية الموهبة، ونعني به:

البند الأول

علاقة العقيدة والسلوك والأخلاق بترقية الموهبة وتنميتها

قال ابن قتيبة: «ونحن نستحبُّ لمن قبل عنا، وائتمّ بكتبنا أنْ يؤدِّبَ نفسه قبل أن يؤدِّبَ لسانه، ويهذِّبَ أخلاقه قبل أن يهذِّبَ ألفاظه، ويصونَ مروءته عن دناءة الغيبة، وصناعته عن شينِ الكذب»(١).

وإنّه لمَّا كان فنُّ الكتابةِ والأدبِ سبيلاً عظيماً يقود إلى نفع الإنسان والارتقاء به وبحياته في دروب الحياة الشاقّة، كان أهلُ الكتابة محتاجين أشدَّ الحاجة إلى إيمان راسخ، وسلوك نظيف، ولسان نقي نزيه، لأنّ مَنْ لا يملكُ ذلك منهم يكون وبالاً على نفسه وعلى الناس، فيفسِدُ حياتهم، ويؤثّر تأثيراً سيئاً في سلوك الأجيال، وفي علاقاتهم وأخلاقهم، ويؤدي إلى اعتلالِ صيغة الحياة اليومية التي يعيشونها.

وبما أننا نتكلّم في بحثنا هذا عن الكاتب المؤمن وصاحب الموهبة المسلم، فإنَّ أوّل سببٍ من أسبابِ

---

(١) أدب الكاتب، ط. ثانية، دار الرسالة، ص ١٤.

ترقيـة هـذه الموهبـة وتنميتهـا يتمثّـلُ فـي الالتجـاء إلـى العقيـدة؛ فقـد ذمَّ الله تعالى الشـعراءَ بقولٍ نهائي حاسـم، إذ بيّن جلَّ شـأنه ذلك في سورة الشعراء فقال: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧].

ويقاس على الشعراء في هذا الحكم كتّابُ الأدب جميعاً..

وقـد اسـتثنى ربنـا ﷻ مـن هـذا الـذم أصحـابَ العقيدة مـن الأدباء، الذين آمنـوا بعقيدة الإسـلام، وألحقوا الإيمان والكلام بالعمل، وسـلكوا مسالك الصالحين خُلقاً وتصرّفاً، قـولاً وعمـلاً، وكتبـوا مـا كتبوا مـن أجل هـدف واحد، هو الانتصارُ لقوى الخير ولمبادئ الصلاح، التي تسيرُ بالإنسان إلى شواطئ النجاة في الدنيا والآخرة..

وبهذا الاعتبار فالكاتب محتاجٌ إلى الانطلاق من التصور الإسـلامي للكـون وللإنسـان وللحياة، كي يسـتقيمَ لسـانه، ويفلـحَ عملـه، وينتقل بالناس إلى سـاحات النقـاء وميادين

التعايش والسلام الاجتماعي والسياسي والحياتي، وإلا كان كالملاح في المحيط بلا بوصلة في ليلة عاصفة مظلمة.

وليس كالرؤيةِ الربانيّةِ رؤيةٌ تقود الإنسان عامّةً، والكاتب الطليعي المؤمن بسلام في خضمّ الموج المتلاطم من الضياع الإنساني العصري خاصةً، ولا تغرنّكَ عظمةُ الأسماء المطروحة، وكميةُ الجوائز المزجاة لهذا الكاتب أو ذاك، فهذا كلُّه مبنيٌّ على رؤًى ومنطلقاتٍ تائهةٍ خلف النسخة الأصلية المتبناة من أصحاب الجوائز..

وإذا أردتَ التأكدَ من ذلك فانظر في محيطك، ثم انطلق إلى المحيط العالمي.. لتجدَ أنَّ أعظمَ الأسماء وألمعها لم يقدّم للإنسان طريقاً سديداً للخلاص.. صحيحٌ أنَّ بعض هؤلاء قدّم صورةً دقيقةً وواقعيةً عن الذي يجري على الأرض بِعُجره وبُجره، على أنّه الشيء الإنساني العظيم، إلا أنّه عندما اكتشفَ هذا البعضُ أن هذا الواقع غيرُ سديدٍ حاول التشخيص، لكن واحداً من هؤلاء لم يقل للناس: أين هو الطريق السديد! ولم يجب على الأسئلة الخالدة التي تواجه الإنسانَ في هذه الحياة إجابات سديدة، بل إنّهم قادوا الإنسانية إلى جراحٍ دميت، وتقيّحت، ثم تحولت إلى حفّارٍ يحفر في أركانِ وأساساتِ

الإنسانية وإيمانها وسدادها، بل إنَّ اتجاهات الصورة الأصلية للكتابة، وظلها الببغاوي أوصلا إلى هذه الفوضى الفكرية والسلوكية التي نراها اليوم، وإلى صيغة الهيمنة التي تسوقُ كلَّ الأمم إلى مصيرٍ واحدٍ، تؤدي فيها هذه الأمم استحقاقات الرفاه لشعب واحد، أو شعوب بعينها، تحاوِلُ فرض رؤاها ومستهلكات عقولها المادية وروحانياتها الخاوية على بقية الشعوب بالقوة، تحت ذريعة العولمة وذراعها الواصلة..

والخلاصةُ: أنَّ الكتابةَ ليست هدفاً، بل هي إحدى الوسائل لإنقاذ الإنسان من براثن الظلم الواقع عليه؛ من نفسه، ومن محيطه القريب والبعيد، فإذا لم يكن الكاتبُ مؤمناً ذا عقيدة ربانية راسخة، تمتلك عليه لسانه وقلمه وأفكاره، ينظر بنورها، ويتكلّم إذا تكلّم بلسانها، ويجري قلمه على الورق بهدي منها، ونور ينطلق من شعاعها، حاملاً في كلّ ذلك رؤاها وأجوبتها المتعلقة بحياته ومماته، وحياة الناس وعلائقهم ومسيرة حياتهم، والمآل النهائي الذي تصل إليه هذه الحياة، إذا لم يكن الكاتبُ كذلك، فإنّ منعرجات الهوى تستولي على فكره وعقله ومزاجه، فيضيعُ، ويضيعُ مَنْ خلفه، مهما نبغ اسمه، وعلا رسمه، أو أقبل الناس على قراءته، لأنّ هذا

الإقبالَ حينئذٍ تابعٌ لعملية الضياع، التي تدور رحاها الرهيبة في عالم الكتابة المعاصرة، إذ إنّ كمها الرهيب، ووسائلها الطاحنة، يأكلانِ كلَّ توجهٍ جادٍّ لإنقاذ الناس من محاولات العولمة للفصل التام بين الثقافة والقيم والمعتقدات، وذلك من أجل تجاوز المعتقدات وقيمها، وإلقاء الإنسان في دوامة تبتلعه بعد أن يصلَ حدَّ الإعياء، ويفقد كل قواه وخصوصياته!.. وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٢].

* * *

البند الثاني

الاطلاع الواسع على فروع المعرفة

١ ـ كلام في المعرفة:

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١ ـ ٣٢].

كم تحنُّ كلماتُ هذه الآية إلى حروفٍ من ذاتها خرجت، وعلى هديها وفي حجْرها ترعرعتْ ونمتْ وأغدقتْ، إنّها حروفُ وكلماتُ رسولِ الهدى محمد ﷺ، يقول فيها للناس ـ مع تغير الأزمان والأمكنة ـ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ به خَيْراً يفقهه في الدين**»... والدّينُ هنا هو علمُ الحياة على تنوّعه؛ ما يتعلّق منه بشأن الإنسان مع ربه، أو بالأمور التي ترعى شأنه في حياته اليومية، أو شأنه في مآله ومرَدِّه، وكذلك شأنُ الفكر والرأي والنظريات التي تطوِّرُ أساليب الحياة وتجددها، وتحسِّن الحياة اليومية وتيسِّرها، من علم طبيعي وطبي وفلكي، ونظر فلسفي.. وكلُّ ذلك ممهورٌ بخاتم كلمات الله الفذّة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فهذا الإنسانُ مخلوقٌ بقدرٍ، ولأمر أراده الله، هيأ له كلَّ الأسباب لينتهيَ إلى النهاياتِ التي قدَّرها بعلمه القديم، فالأرضُ والسماءُ وما فيهنَّ ومن فيهنّ كلُّ ذلك مسخَّرٌ باتجاهِ وضع هذا الإنسان ـالمقدّر والمراد ـ في حومة التجربة البشرية الموجهة بكلمات الله العظيمة التي هي أساسُ المعرفة الحقّة، فإذا حادت التجربةُ الشخصية لأيِّ إنسانٍ، أو التجربةُ الجماعيةُ لأي مجموعة بشرية عن خطوط الهدي الرباني في

المعرفة، فإنّ ذلك قائدٌ حتماً إلى بوار الحياة الشخصية أو الجماعية، مهما بدا للناس من مظاهرَ قد تخالِفُ هذه الحقيقة، وذلك لأنّ هذه الصورة تشكّلُ في الواقع اقتلاعاً لهذا الإنسان من جذوره، من فطرته، من الطريق الواضح النير إلى الظلمة والضياع.. وهذا هو أصلُ وأساسُ كل ذلك الضنك الذي تعيشه البشرية اليوم، عندما ضيعت بَوْصلتها الربانية، وراحت تتخبّط وراء نظر كتّابٍ، وضعوا الهدي الرباني في قائمة المنسيات، أو في قائمة المتروكات الغابرة، وذلك ليجعلوا من أنفسهم وكلماتهم الهائمة على وجهها دساتيرَ جديدةً للبشر.

فمنهم من أراد أن يجعل من الشعر ـ كونه شاعراً ـ بداءة الفكر والعلم والينبوع القديم[1].

ومنهم الذين راحوا ينظِّرون للبشر، ويفكِّرون عن الناس، ناسين أنهم مخلوقون لخالقٍ رسم خطوط السعادة للبشر، وأبدعَ أصول النظر لهم، وجعلهم يفكرون، ويختلفون ويجتهدون، ويغدون ويروحون في ساحةٍ واسعةٍ من كيفية التنفيذ الأقرب للصواب، والأوسع لاستيعاب مستجدّات الحياة وتطوراتها.

---

(١) عبد المعطي حجازي: جريدة الزمان ١١/ ٨/ ٢٠٠٠م، باب ألف ياء.

ولقد جرى على هذا المنوال من التوجه معظم الكتّاب والمفكرين من المتغرّبين والعلمانيين واليساريين ومتبني الليبرالية الغربية بببّغاوية عجيبة.. فبدوا منبتّين[١] في كتاباتهم الفكرية والأدبية وحتى العلمية عن فكر الأمة، وتوجه الناس فيها، وعن مجريات ووقائع الحياة اليومية فيها، وأصبح كلُّ ما يكتبون موجَّهاً إلى نُخَبِهم وحسب، فلا هدف لهم ولا غاية، إذ أصبحت كتابة هؤلاء تتخبط في أزمة اتصال مع الجماهير[٢].

٢ ـ موهبة مطّلعة:

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].. ولا يؤخذ العلم وتُنمَّى الموهبة إلا بالتعلّم، ويُمضِي الإنسانُ حياته بين كونه عالماً أو متعلّماً، ولا خيرَ في غير ذلك، كما أوضح وبيّن وأكّد رسولُ الله ﷺ.

فهذا آدمُ أبو البشر لم يكن يعرفُ شيئاً من العلم، ولكنّ ربَّ العالمين كان معلّمه، إذ قال جلّ من قائل: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣٠].

(١) منبتّين: منقطعين.
(٢) هذا ما أكده كثيرٌ من الشعراء والكتّاب في ملتقى أصيلة الثقافي الدولي (آب ٢٠٠٠م).

وأشدُّ الناس حاجةً إلى العلم، وأحوجهم إلى التعلم، لتنمية مواهبه وإمكاناته التي منحه الله إياها، هو مَنْ وَجَدَ في نفسه موهبةَ الكتابة، ثم ندب نفسه للاشتغال بها، وإنَّ أداةَ هذا التعلم المطلوبةَ تتمثّل في الاطلاع الدائب، والبحث المستمر، والتطوير والترقي غير المنقطعين أبداً.

إنّ الكاتبَ عامةً، والأديبَ خاصةً يتعاملان مع النفس الإنسانية برحابة اتّساع خطوطها، وعمق تفاعلات مشاعرها، كرهها وحبها، غضبها ورضاها، صفائها وعكرها، خيالها وواقعها، هدوئها وصخبها، وقارها وانفلاتها، حزنها وفرحها... إلخ، كما يتعاملان مع ما يحيطُ بهما من عوالم إنسانية أخرى، وأمكنة وظروف وأزمنة، وحياة اجتماعية وسياسية وتاريخية وأدبية واقتصادية وفكرية.. وما دام الأمرُ كذلك فإنّ مدى ما يجبُ على هذا الكاتب من الاطلاع، يكونُ واسعاً ومتنوعاً بوسعِ وتنوّعِ كل ما ذكرنا.

ولكنّ هناك قضية هامة يجب أن ينتبه إليها كلُّ متجه إلى الكتابة من المؤمنين المسلمين، هذه القضيةُ هي أنَّ هذا الاطلاع لا يقضي بالأخذ بكلّ ما يدفع من معرفة، بل إنّ هذا الاطلاعَ اطلاعُ ناقدٍ يعرِضُ المعرفةَ القادمة منه على العقيدة وفروعها

الإيمانية، التي تشكّل الأرضيةَ الرئيسة الأولى في قاعدة وأساسات العقل المؤمن، وتحتلُّ كلَّ جزيئاته ونظره ورؤاه... وذلك لأنَّ هذا العقل المؤمن يعلم علم اليقين أنَّ كلَّ ما عدا العقيدة الإيمانية وأسسها المعرفية القطعية ليس إلا ظنّاً خاضعاً لتقلّبات الأوقات والأمزجة والمعارف الآنية التي تتلبّس الإنسانَ في لحظةٍ ما، وظرفٍ معين، ومعطيات محددة محدودة.

ويشرحُ ذلك الأستاذ مصطفى صادق الرافعي إذ يقول: «لقد أثبتَ تاريخُ الإنسانية أنَّ هذا اليقينَ الساري فيها لن يكونَ غيرَ الدين، فهو وحدَه معنى الجاذبية بين المعلوم الذي تبدأ النفس سيرها منه، وبين المجهول الذي تصير النفسُ إليه طوعاً وكرهاً، وما دامت الجاذبيةُ فيه وحدَه فلن يستطيع شيء غيره أن يقيم حدودَ الإنسانية، أو يحفظ ما يقيمه منها، وما غايةُ العلم إلا أن يكون قوة في هذه الحدود..»[1].

والخلاصةُ في هذا الموضوع هي: أنَّ الكاتب المؤمن محتاجٌ إلى تنمية موهبته، لتصبحَ موهبةً مطلعةً على التاريخ والاجتماع والأدب والفلسفة والسياسة والواقع والاقتصاد والفكر والفن.. وغير ذلك من مجالات المعرفة، وهو

---

(١) إعجاز القرآن، ص ١٢، نشر دار الكتاب العربي، ط ٨.

اطلاعٌ واعٍ فاهمٌ ناقدٌ، متعاملٌ بإيجابيةٍ وسعةِ أفقٍ، ومرونةٍ، وحسنِ انتفاعٍ، واستيعابٍ بعيدٍ عن التماهي المذيب للحدود والخصوصيات، الداخل في صلب الضياع، الذي يجعل الإنسانَ مجرّدَ ورقةٍ يكتب على صفحتها الآخرون ما يشاؤون ويرغبون.

وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ...﴾ [المؤمنون: ٧١].

٣ ـ تقويم الأداء:

حتّى يذهب الكاتب المؤمن في الطريق الآمن إلى آخره، عليه أن يتعرّف أولاً بأول على قيمة أدائه في فنّ الكتابة، الذي اتخذه مطيةً لغاياته التي آمن بها، ويشكّل هذا التعرّفُ جزءاً لا يتجزأ من عملية الاستفادة من الاطلاع.

وفي خطوةٍ ليست بعيدةً عن واقع ما يحدث لكل كاتب، فإنّ معظم الكتّاب يقفون أمام أدائهم وِقفةَ حسابٍ في لحظة ما، سواءٌ كانوا من الملتزمين بنهج التبليغ الإيماني، أم من الذين هاموا في كلِّ وادٍ، وسرحوا بأنظارهم وبصائرهم في مرابع الوهم الهائل، الذي أدخلته على الجميع معطيات

عبادة العقل، أو الإنسان الفرد، أو المادة واللذة، أو حتمية العولمة، أو بالأحرى **الأمركة**.

والكاتبُ المؤمن الذي اتخذ التبليغَ مهنةً عظيمةً.. في أشدِّ الحاجة إلى مثل هذه الوقفة التقويمية الناقدة للأداء، وذلك حتى لا يقع تحت طائلة المسؤولية الواردة في الآية الكريمة من كتاب الله تعالى القائلة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

فكيف يراجِعُ هذا الكاتبُ أداءه؟.

وما هي الأسئلة التي يقوم من خلالها هذا الأداء؟.

لا بدّ أنّه مراجِعٌ لإنتاجه كله بين الحين والآخر، طارحاً على نفسه الأسئلة التالية أمثلةً وليست حصراً:

١ ـ ما هو مكانُ ما كتبتُ من كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ؟.

٢ ـ كيف كان الخطابُ الذي احتوته كتاباته؟.

أ ـ هل كان قريباً من عقول الناس؟.

ب ـ هل تطرّق فيه إلى واقعهم وأحوالهم؟.

جـ ـ هل كان أسلوبُه وبيانُه من النوع الذي يشدُّ الأذهان؟.

د ـ هل فيه معالجات وأطروحات ترقى بأحوالهم؟.

هـ ـ هل بيَّن فيه أخطار ما يحاصرهم من فكر وحتميات تحاول معهم عملية التأييس للاستسلام لما يطرح؟.

و ـ هل بعث في خطابه الأمل في الخلاص؟.

ز ـ كيف كان استقبال الناس للخطاب؟ وما مدى تأثيره في سلوكهم؟.

٣ ـ هل دخل كتاباتِهِ شيءٌ من الفكر أو الأدب الدخيل الرديء دون علمه، وذلك بتأثير الاطلاع والتنمية؟.

٤ ـ هل كانت غاياتُه وأهدافُه واضحةً بينةً في كتاباته، لا تَلَجْلُجَ فيها ولا مواربةَ مضرّة؟.

٥ ـ كيف كان مستوى الأداء؛ هل هو متصاعِدُ الجودةِ؟ أم في نزول؟ أم في حالة ثبات؟..

٦ ـ ما هي الفوائدُ التي جناها من الاطلاع؟ وأين كانت مجيدة نافعة؟ وأين كانت عديمة الفائدة أو مضرة؟.

فإذا تمّ له ذلك، ووضع علامات لكل سؤال، ثم جمع حصيلة الحساب؛ نظر؛ فإن كانت النتيجةُ عاليةً حمد الله،

وأثنـى عليـه أن وفَّقـه لمثـل هـذا النجـاح، وسـعى جاهـداً للتطوير والتحسين.

وإن كان الأمرُ غيرَ ذلك لامَ نفسَه وأنّبها، وسعى من جديدٍ كي يقوِّمَ الاعوجاجَ بعد أِن شخّصه.. هذا والله أعلم.

* * *

البند الثالث
الاطلاع الواسع والمستمر

١ ـ البُرعم يتطوَّر:

أرأيت إلى البرعم يحاوِرُ خيوطَ الفجر، من أجل أن تتفتَّح أوراقُه، وتَنْفُضَ أكمامُه عن أجفانها ندى النوم، وذلك لتدخلَ صخب الحياة، مسلحةً بالشذى، ترسِلُه إلى كل الأنحاء، لتحصلَ على الثقة ثم الإعجاب، ثم الاتجاه إليها كي يرشفَ منها المرتشفون ذلك اللون الرائع، والجمال المتناسق، والعطر الرباني الحالم.

ذلك هو مثل الإنسان المبدع، يتفتّح ويتطوّر وترتفع قامته وتنهض، كلّما ازداد حواراً مع كلّ ما حوله، فهو في صعودٍ

دائمٍ، ما دام ينهلُ من معينِ الثقافةِ الذي لا ينضبُ، بكلِّ فروعها، بادئاً بأساسياتها وتراثها، مارًّا بفروعها المتنوعة، منتهياً إلى الحاضر وما يدورُ فيه من تفاعلات ثقافية، يحتاجُ فيها إلى جواز مرور يكونُ مليئاً بتأشيرات الوعي العالي، والإيمان الواقي، والهمة اللامتناهية، والقريحة المتجددة الإبداع، واللغة الخارقة لحصون العصر، التي تغلّفت بجدران سميكة من الادّعاء التقني المتفجر، محاولة تعميم ثقافة واحدة بعينها، لتكونَ سيدة الجميع، تحت مسمًى يبدو في ظاهره محبباً، لكنّه مبطَّنٌ من الداخلِ بسموم الهيمنة، واستلابِ كلِّ الداخلين إلى محاضنها، وتحويلهم إلى سدنة يخدمون رفاه شعوب أسياد «**العولمة**».

ولا بدّ لهذا البرعم الموهبي المؤمن من حيازة التحلّي ببراءة متمرّدة على ثقافة الاستسلام، التي راحت تغزو أسواقنا الثقافية، وذلك من أجل أن يكون صوتاً يقاتل لإيقاف عملية تقديم الشهداء لمحكمة الإرهاب، ناطقاً رسمياً باسم خصوصية الهوية، وتميز هذه الأمة بكتابها الكريم الموسوم بآيات الله البينات، التي تفيضُ بالحرص على الإنسان من خلال بيان بلاغي معجز، حق لكل برعم

أن ينطلـق مـع التعـرف عليـه ابتـداءً، تعرفـاً إيمانيًّـا عقديّاً أولاً، ثـم ليسـوح فـي معجزاتـه البلاغيـة البيانيـة التـي لا تنقضي عجائبُهـا، ولا ينتهي تجدُّدُ معانيها، وتلألؤ ألفاظها وحروفهـا الفـذة؛ حيث من هذه النقطة بالـذات تبدأُ حركةُ تطـور البرعـم، حركـة واعيـة مبصـرة، شـامخة التطلعات، موفقة الخطوات، راسـخة في العلم والفهم والتعبير، قابلة راضيـة، معتزّة بالمنّة العظمى التي امتنها الله على الإنسـان إذ قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٤].

٢ ـ آفاق الاطلاع:

إنّما صُنع الكلام لإفادة المعاني، والبلاغة فيه أن تبلغَ به ما تريدُ من نفسِ المخاطب من إقناعٍ وترغيبٍ وترهيبٍ وتشويقٍ وتعجيبٍ أو إدخال سرورٍ أو حزنٍ أو غير ذلك.. فالبلاغةُ ملكةٌ روحيةٌ وأريحيةٌ نفسيةٌ، وليست صناعةً لفظيةً محضةً، فلا بدّ من الاهتداء إلى أسبابٍ تجعلُ الكلام مؤثِّراً[١].

(١) هذا الكلام من مقدمة كتاب: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص٧، ط ٢، دار المعرفة ـ بيروت.

وبناءً على هذا نستطيع القول: إنّ الكلمة تاريخٌ ولغةٌ وفقهٌ وقانونٌ وعلمٌ، وخبرةٌ إنسانيةٌ، وتجربةٌ حياتيةٌ، وحالةٌ نفسية ذاتُ معانٍ عميقةٍ، وعاطفةٍ جياشةٍ ممتزجةٍ بلفظ معبّر، وفلسفةٍ نازعةٍ إلى بناء الحياة على أسس فكرية، وإرادةٍ جماعية.. فمتى كانت الكلمةُ المزجاة جامدةً ميتةً غيرَ ناطقةٍ بكلِّ هذا الذي ذكرناه، أصبحتْ غيرَ ذاتِ قيمةٍ أو جدوى كما ذكر الرافعيُّ[1].

ولقد نُقِلَ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كلاماً داعماً لما أوردناه، واصفةً به كلام رسول الله ﷺ وبيانه، فقالت: «**ما كان رسولُ اللهِ ﷺ يَسْرُدُ كسردِكُم هذا، ولكِنْ كانَ يتكلَّمُ بكلامٍ بيّنٍ فصلٍ، يحفظُه مَنْ جلسَ إليه**»..

وهذا يعني: أنّ كلام رسول الله ﷺ كانَ في القمّة من البيان، «**بيِّن فصل**» فيه النفعُ والفائدةُ، والحلول والخبرات، والتاريخ المفيد، والعلاجُ الناجع، والفهم الواضح النير المبصر، المخترق لحصون المعتدين الظالمين، السالك بلينٍ وقوةٍ قلوبَ المؤمنين، البيّن، المداوي الهادي، المتعامل مع حياة الناس بما يرقّيها، ويرفع تطلُّعاتها.

(١) إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، ص٢٠.

من كلّ ما تقدّم نستطيعُ تحديد مجالات الاطلاع، وعناصرَ الثقافة المطلوب من صاحب الموهبة حيازتها، إن أراد تنمية موهبته والارتفاع بها:

أ ـ العيش مع القرآن الكريم:

وتمثّل تعاليمه، والتعرّف على علومه، والدخولُ إلى معالم بيانه وبلاغته وإعجازه الذي يخترق الزمان والمكان.

فالقرآنُ الكريم هو المدرسةُ الأولى والأساسية لكلّ الشادين المبتغين ركوبَ صهوات البيان، الكاتبين بلغة الضاد، المتعاملين مع شعوب العرب والإسلام، المقبلين على اختراق جدران الثقافات المحصنة بالعناد والظلم للنفس وللغير..

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧ ـ ٢٨].

والقرآنُ الكريم هو تاريخٌ وأساسٌ، وامتدادُ ثقافةٍ، وبيانُ لغتنا وأمتنا، وهو الذي يقوِّمُ أداءَها على الوجه الذي نطق به أصحابها الأوائل، وييسّر ذلك لأهلها في كل عصر، ولولا

هذا الكتابُ الكريم لما وُجِدَ على الأرض أسود ولا أحمر يعرف اليوم ولا قبل اليوم كيف كانت تنطِقُ العرب بألسنتها، وكيف تُقِيْمُ أحرفها، وتحقّق مخارجها، وهذا أمرٌ يكون في ذهابه ذهابُ البيان العربي جملته أو عامته[1].

ب ـ أن تتفتّح البراعمُ من نسغ السُّنَّة وبيان رسول الله ﷺ:

فهو امتدادُ بيان السماء فوق الأرض، وفعلُ تعاليم رب العالمين متمثلةً بحركة بشرٍ نبيٍّ، يعيشُ بين الناس، يؤاكلهم ويشاربهم، يدعوهم، ويجاهد بنفسه وبهم، ويتقلّب معهم ويرعى شؤونهم، بحلوها ومرّها، نصرها وتراجعها.. فهو **البيانُ العمليُّ الفذُّ للإسلام** في هذه الأرض ومع الناس، وهو الأساسُ الثاني بعد القرآن في البناء الثقافي، وتنمية موهبة الموهوبين بصورة صحيحة سديدة.

وقد وصف الرافعيُّ بيانَ رسول الله ﷺ بكلامٍ جميلٍ؛ إذ قال: «هذه البلاغة الإنسانيةُ التي سجدت الأفكارُ لآيتها، وحسرتِ العقولُ دون غايتها، لم تصنع، وهي من الأحكام كأنّها مصنوعة، ولم يتكلّف لها، وهي على السهولة بعيدةٌ ممنوعةٌ»[2].

(١) إعجاز القرآن، ص٨١.
(٢) المرجع السابق، ص٢٧٩.

وإذن فالعيشُ في ظلال هذا البيان، والتعامل معه أساسٌ ركينٌ من أسس ثقافة صاحب الموهبة.

جـ ـ الأخذ من كلِّ علمٍ وفنٍّ بطرف:

بيّن ابن قتيبة في مقدمة كتابه (أدب الكاتب) ما يحتاجه الذي يشدو موهبة الكتابة من أدواتٍ وسعةِ اطلاعٍ بما يلي:

ـ أن يشدو شيئاً من الإعراب.

ـ أن يتعرّف على شيء من علم الهندسة والرياضيات.

ـ لا بدّ له من النظر في جُمَلٍ من الفقه.

ـ كما لا بدّ له من معرفة أخبار الناس، ومعرفة أحوالهم وأقدارهم وأوضاعهم، وما يصلحُ لهم أن يخاطبوا به (أي: أن يعرف شيئاً عن الفلسفة، والاجتماع، والنفس، والأدب الخاص والعام).

ـ الاطلاعُ على الكتيبات التي وضعها ابن قتيبة من أجل من يريدون دخول معترك التبليغ عن طريق الكتابة، وهي كتبٌ خفاف، يشتمِلُ كلٌّ منها على فن من الفنون والعلوم كما قال ابن قتيبة.

وأضيفُ في هذا الباب ما يفيد صاحبَ الموهبةِ لكي يحقّقَ تنميةَ موهبته وذلك بأنْ يكونَ مطَّلعاً على:

- ثقافات الشعوب الأخرى وآدابها وفلسفاتها.
- على أسس ورئيسات التقنيات المعاصرة.
- على تراث أمته في مختلف الفنون.
- على تاريخ أمته والأمم الأخرى.

وحتى لا نُكْثِرَ على صاحب الموهبة، ونطيلَ عليه بقوائم طويلة عريضة، قد توقعه بالإحباط، فإننا نقول: ليس المطلوبُ من صاحب الموهبة أن يكون عالماً ضليعاً بكلّ ما ذكرناه، بل المطلوبُ أن يكون لديه اطلاع وإلمام عام، وفهم عام، وصورة عامة عن كلّ ما ورد، بحيث يستطيعُ استعمالَه في خطابه البلاغي الإبلاغي، بشكل يجعل لخطابه قوة وقدرة على الاختراق، خصوصاً في عصرنا الحاضر، الذي اتكأ على كمٍّ هائلٍ من الثقافات الزائفة، والتقنيات الفتاكة.

«بما أنّ الكلام هو الذي يعطي العلومَ منازلها، ويبيّن مراتبها، ويكشف عن صورها، ويجني صنوف ثمرها، ويدلّ

على سرائرها، ويبرزُ مكنونَ ضمائرها وبه أبان الله تعالى الإنسان من سائر الحيوان»[١] فإنّ صاحب الكلام الذي يمتلكُ أكبرَ مخزونٍ ثقافيٍّ في ذاكرته، ويحسِنُ استعمالَ هذا المخزون في كلماته، يستفيدُ أيّما فائدةٍ من ذلك كله في رفعة قلمه، وبلاغة إبلاغه، وإعطاء التراث حياةً جديدةً مناسبةً للعصر.

٣ ـ الحصن الحصين والمرجعية القويمة:

لقد كان القرآنُ الكريم وثقافةُ القرآن الكريم والسُّنَّةُ النبوية المرجعين القويمين الثابتين لكل الشداةِ في باب الكتابة، وذلك إذا أرادوا لشخصيتهم أن لا تتماهى في شخصيات الآخرين وثقافاتهم وحضاراتهم، وقد شكّل الاعتمادُ المعاصر على ثقافات الآخرين، والرضوخُ للأبعاد المعنوية لمنتجاتهم المادية والحضارية والفكرية، إضافةً إلى الجهل التام أو الجزئي بثقافة المرجعيات والحصون الأساسية للأمة، أقول: شكل ذلك ارتداداً كارثيّاً في موقفِ ومكانةِ أمتنا، مما جرَّ إلى هذه الأوضاع المزرية التي تعيشُها الأمةُ؛ من تخلفٍ وضعفٍ وذيليةٍ.

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص٣.

ولقد كان من نتائج الجهل بالمرجعية القرآنية والسُّنَّة النبوية، أنْ كرّسَ أهلُ هذا الجهل مجهوداتهم الكبرى للهجوم على اللغة العربية؛ الأداة العظيمة لثقافة المرجعية الحصينة، فقامت دعواتٌ تجحد فصاحة هذه اللغة وبلاغة مرجعياتها، وتسعى إلى تفجير هذه اللغة بالأساليب المتمنطقة بقنابل الحداثة الزائفة، ونبذ أساليب الأجداد، والانقطاع عنها نهائيّاً.

بل إنّ البعض دعا إلى ترك الفصحى، والخوض في غمار العامية والفوضى، وذلك من أجل قطع الوصل بين الحاضر والماضي، ليأتيَ المستقبل تافهاً ضائعاً.

ووصل الأمر بالبعض أن تجرّأَ على الدعوة لهجر الحرف العربي، والكتابة بالحرف اللاتيني كما فعل «أتاتورك» في تركيا، الذي اتخذ الحرفَ اللاتيني بدلاً من الحرف العربي لكتابة اللغة التركية.

لذا فإنّ ناشئةَ الكتّاب من الموهوبين المؤمنين مثقلون بالمهام العظام، التي يتمثل أهمها وأعظمها بإعادة الرونق والجلاء للاعتماد على المرجعية القرآنية والسُّنَّة النبوية القويمة، تلك الإعادةُ التي راحت تأخذُ مكانها في مقدمة البناء الثقافي لمجتمعات الأمة العصرية، على يد العديد من عمالقة الثقافة

الإسلامية العربية المعاصرة.. ولكن الطريق لاحبٌ وطويل، ويحتاجُ إلى تتابع الأجيال، وتراكم الخبرات، وعمق الانتماء، ولمزيد من الأسماء المليئة بالنماء والتطور والمعاصرة والمعبأة بالمرجعية الأصيلة المتصلة القويمة الحصينة(١).

* * *

البند الرابع
المران والتجريب وتهذيب اللسان

تعيّنتِ الموهبةُ، وأينعت بوادرُها، وهبّت على النفس الكاتبة محاولاتُ التجربة، واستيقظت القريحةُ، وحانت لحظةُ القطاف، ودخل الوقتُ؛ وقتُ الجِدِّ، وامتلأت قِداحُ الفكر، وأزهرَ الليمونُ في حقول الموهبة، وراحت الهمّةُ تراودُ القلم، ليسطّر أول الكلمات، لكنْ ساقية الجميع ما تزالُ بطيئةَ العطاء، شحيحةَ الورْد، تتدفّقُ حيناً، وتنزُّ نزًّا أحياناً كثيرة، وأنتَ.. أنتَ يا صاحبَ الموهبة تنتظرُ خوضَ اللجة على أحرٍّ من الجمر.. تريدُ أن تذهبَ في بحرِ الكتابة أبعدَ شوط، مغامراً بالبدايات، من أجل الوصول العاجل، ظنًّا

(١) انظر: فصل: الجملة القرآنية، للرافعي، في كتابه: تحت راية القرآن، وتعقيب الأمير شكيب أرسلان عليها بعنوان: ما وراء الأكمة. (ن).

منك أنَّ الحلُم ذو جناحينِ شديدي المراس، وبهذا يسلّمك التعجلُ لقطف البراعم قبل تفتّحِ أزهارها، وقبل وضع القدم الأولى مرّات ومرّات، تجسُّ الديار، وتختبرُ التربة، هل هي طريةٌ تنزلقُ فوقها بدون أنيس؟ أم هي صلبة متماسكة مختبرة متراصّة مجربة، لا تخاطر اليدُ بالرسم فوقها، ما دام المدادُ يزرعُ الثقةَ في أرجاء الساقية ذات النبع المدرار.

إنّك إن فعلتَ ذلك، تكونُ قد خُضْتَ التجربة نائياً بنفسك وقلمك عن امتلاك نواصي الأقلام والفكر والأساليب والصياغات، وبالتالي قادماً تقاتل في ساحات لم تختبر بنفسك وعورةَ مسالكها، وتلوّن فنونها، ولم تستعرض جهودك بصورة مبدئية مع مَنْ سبقك، ومع مَنْ هو ناصحك وموجهك، وبكلمةٍ مختصرة لم تبدأ البداية السليمة التي تقتضي منك لكي تنجحَ أن تسيرَ الخطواتِ مثقلاً بدايةَ بسؤال طويل عريض، قد طرح عليك مرّاتٍ ومرّاتٍ، لكنّه الآن بعد أن تعيّنتِ الموهبةُ، ووُهِبَتْ رغائبُ خوض التجربة، يلحُّ في الطرح ليقول:

١ ـ عفواً ما الذي تهدف إليه تماماً؟:

وها أنتَ تجدُ نفسك أمام الصدى يتردّدُ في جنبات نفسك، وفي عميق فؤادك المؤمن ليؤكد:

ـ أنّك وجدتَ امتلاكَ ناصية الكلمة واستخدامَها أهمَّ وسيلةٍ من وسائل البلاغ الرسالي..

ـ وأنّك تريدُ أنْ تضيفَ صوتاً بلاغيّاً جديداً متميزاً ينتصر للمعنى البلاغي الإيماني..

ـ وأنّك بهذا تعمل في المجال المناسب الميسّر لما خلقتَ له.

ـ وأنّك جادٌّ في خوض معركة الذَّوْدِ عن حياض الحق بالكلمة العليا، وذلك لكبح جماح الباطل، وكسب الساحة لإنقاذ الإنسان من كلِّ التزوير الذي يطلُّ عليه من بوابات الاتصال المختلفة ليلَ نهارَ.

ـ وأنّكَ مستعدٌّ لدفع الثمن الذي يترتّبُ على خوضك التجربة، وقد يكون ثمناً باهظاً في الكثير من الأحيان.

فإذاً أنتَ أيها الموهوبُ سمعتَ كلَّ ذلك الصدى يتردَّدُ، ووقفت على الأهداف، وعرفتَ ماذا تريد، وفي أي الاتجاهات تسيرُ.. انطلق سؤالٌ آخر يقول لك:

٢ ـ كيف تصنع في البدايات؟:

لتجدَ نفسك أمام بوابتين؛ إحداهما مباشرة، والثانية تأتي فيما بعد...

فأمّا البوابة المباشرةُ فتحتاجُ إلى:

أ ـ محض المعاناة:

لمّا كانتِ الكتابةُ الصادقةُ المؤمنةُ ناتجةً بصورةٍ أكيدةٍ عن المعاناة التي يواجهها الكاتب، ويحسّ بها تتفاعل في دواخله، مقابل ما يرى وما يقرأ وما يسمع، وما يعامل به مِنْ جميع الذين يحيطون به، فإنَّ هذه المعاناة هي التي تولّد الفكرة، وتفتح أبوابَ القريحةِ لدى صاحب الموهبة، ومن هنا فإنَّ عليه مباشرةً أن يتناول القلم والقرطاس، ويسجل الفكرة المتولِّدة، ومحاور معالجتها، قبل أن تغيبَ في طيّاتِ المشاغل اليومية، فيبحث عنها فلا يجد منها إلا أطلالاً باهتةً غير مكتملة التكوين.

والمبدع في الكتابة، الذي ينبغي أن تُسْمَعَ أفكاره، ويؤخذ بنتيجة معالجاته لمعاناته، هو ذلك الكاتب الذي يختار لكلِّ موضوع من موضوعاته المستجدَّ من المعالجات والأسلوب والأفكار، بما يثيرُ الانتباه، ويصنع إضافةً جديدةً، تستحقُّ عناءَ الاطلاع والقراءة وصرف الوقت، بل وتنشئ حواراً وأخذاً وردّاً واهتماماً وإثارةً إيجابيةً ينتجُ

عنها مزيد من التسـويق والانتشـار وتركيز الزمان والمكان، والاعتراف الراسـخ، ويكونُ ذلك كله بعد الكثير من تقليب الفكر بالمعاناة، وفحص تشكّلها، وعناصر تكونها في نفسه، ومظاهـر تقلبهـا في خارجـه والمحيط، ومدى قـوة تأثيرها، وصمود حجتها، والاسـتجابة لها سلبيّاً أو إيجابيّاً، وأسبابُ ذلك كله.. ومن ثَمَّ يأتي دور:

ب ـ التجريب والتمرين:

وهمـا يبدأان بارتياد الأرض عـن طريق المزاولة المغلقة أولاً (أي: غير المنشـورة) وهذه المهمة تحتاج إلى مخالطة المجربيـن، ومحاولـة محاكاتهـم، واستشـارتهم فـي كل البـادرات الكتابية.. ثم الإعادة والتصويـب والتركيز.. حتى إذا لاقـت بعـضُ البـادرات استحسـاناً وقبـولاً وثنـاءً، دفـع بالبـادرة إلـى الأمـام نحو النشـر، ثم الواحدة تلـو الأخرى، حتى تبلغَ مبلغ رسوخ القدم.

وقد تستمرُّ هذه الحالة زمناً ليس قصيراً، فلا ييئس صاحبُ الموهبـة ولا يـكلُّ، ولا يتراجعُ.. فكل مريـدٍ يحتاجُ إلى من يسهّل له الطريق، ويشذّب السلوك، ويرقّق اللسان والقلب..

وهـذا رسـولُ الله ﷺ يقول له أبو بكـر ﷺ: لقد طفتُ في العرب، وسمعتُ فصحاءهم، فما سمعتُ أفصحَ منك، فمن أدَّبكَ (أي علمك؟) قال ﷺ: «**أدَّبني ربي فأحسنَ تأديبي**».

ولتعلم أخي المقبل على الكتابة أنّك مقبِلٌ على فنٍّ وعلمٍ عظيميـن كريميـن عاليين فـي الغايـة والوسـيلة، وذلك لأنّك في إقبالك هذا حامِلُ همِّ الإبلاغ الرسـالي السـامق، وقد قيل فـي ذلك: «إنّكَ لا ترى علماً هو أرسـخُ أصـلاً، وأبقى فرعاً، وأحلـى جنًى، وأعذبَ ورداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سـراجاً من علـم البيـان، الذي لولاه لم ترَ لسـاناً يحوك الوَشْـيَ، ويصوغُ الحَلْيَ، ويلفظ الدرر، وينفث السـحر، ويقري الشهد.. والذي لـولا تحققـه بالعلـوم، وعنايتـه بهـا، وتصـوره إياهـا، لبقيت مستورةً، واستولى الخفاء على جملتها».. وفي ذلك ما فيه من ضياع الحق، وخفوت صوته، وانتشار الجهل، وعلو مكانته.

وأما البوابة الثانية التي تأتي فيما بعدُ فهي:

ج ـ النزول إلى الساحة:

وفي هـذه المرحلة يكونُ صاحبُ الموهبة قد غدا داخلَ المهنـة، وفـي طلـب المهمـة الغاليـة، وهو في هـذا محتاجٌ

لأن تكـونَ خطواتـه متجهةً إلى الأمام دائمـاً وأبداً.. فيتوقّى الهنـاتِ، والنـزولَ والخـذلانَ، وهو في ذلـك ـ وإن كان لا يمكنه بلوغُ مقام رسول الله ﷺ البياني ـ حسبه إذ بلغَ مرحلة المهنـة الاقتـداء في بيانه ﷺ ما وسـعه الاقتـداء؛ فيتنزّه قدر الإمكان عما يعتري أصحاب القلم واللسان من العيوب التي تنزه عنها رسول الله ﷺ؛ إذ قال صاحب (إعجاز القرآن) في ذلك: «لا يعتري رسـول الله ﷺ ما يعتـري البلغاء في وجوه الخطـاب، وفنـون الأقاويل؛ مـن التخاذل، وتراجـع الطبع، وتفـاوت مـا بين العبارة والعبـارة، والتكثّـر لمعنى بما ليس فيه، والتحيُّف لمعنـى آخر بالنقص منه، والعلو في موضـع، والنزول في موضـع..»[1].

وأول ما يتبادر إلى الذهن لتقديمه نصيحةً لكلِّ من يتقدّم من الكتَّاب المؤمنين إلى الساحة لينزلَ فيها هو أنْ يكون متمكّناً واثقاً من انطلاقه من خلال عقيدة راسخة تقول:

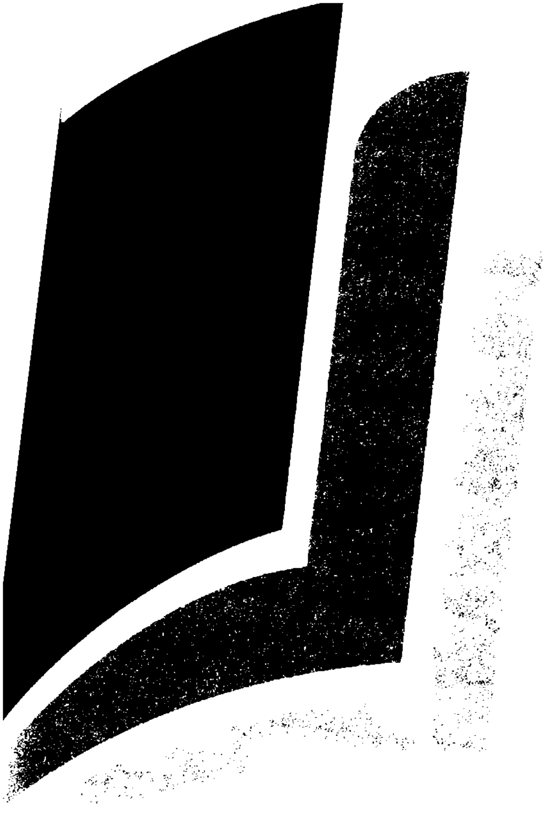
إنّ الحقيقة الكلية لهذا الكون ولهذا الإنسان ولهذه الحياة ومآلها جميعاً ومصائرها إنّما هو معروفٌ وثابتٌ ومثبَتٌ فيما

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص٢٨٦.

نـزل على قلب رسـولنا الكريم ﷺ مـن آيات الله، وما جرى على لسانه من وحي يوحى، وهو (أي: الكاتب) غيرُ محتاجٍ للتجربة داخل نفســه أو داخل غيره، أو فيما يحيطُ به ليجدَ الأجوبة الكبرى على تلك الحقائق الإيمانية الكبرى.

إذ إنّ الكثيريـن مـن كتّـاب الغـرب وأدبائـه وفنانيه ومن نهجَ نهجهم داخل أمتنا تاهوا وضاعوا في الجري لاكتشاف الحقيقـة، فحوّلوهـا إلى محاولات تدميريـة للغة، وللتراث، وللقيـم، ولـكلّ معنـى إيمانـي، علـى اعتبـار أنَّ هـذا الذي يخوضونـه إنّمـا يمثّل ثورةً علـى واقع وتاريـخ وقيم قمعية وسـلطوية وغيـر سـلطوية، وهـو مـا جعـل هـؤلاء أعضـاءَ خارجيـن على مجتمعاتهم، منسـحبين منها، راكضين خلف أمزجـة وأهـواء فرديـة مهزومـة داخليّـاً وخارجيّـاً، مريضـة بمجموعـة مـن الأفـكار الفرديـة النزعـة، النرجسـية الرؤى والعمـل، عـدوّةً لمنطـق التغييـر والتطويـر المنسـجمين مع طبائـع الأشـياء، وسـيرورة التاريخ، والمحكوميـن بالثوابت والمتغيرات، ولسـوف نتطـرّقُ في الفقرات القادمة إن شـاء الله إلى كيفية السير قُدُماً إلى الأمام دون تعثُّرٍ.

* * *



الفصل الرابع

السير قدماً:
التأكيد المُلِحُّ على العقيدة والسلوك

١ ـ لماذا التأكيد؟

ليست الكتابة عبثاً من العبث، ولا هي نزوة نفس تائهة، تخطُّ باليد ما لا تعرف عاقبته ولا موقعه من الناس ومن الأخلاق والمآل والأثر.

إنّها أمانةٌ وعنوانٌ:

ـ أما كونها **أمانة**، فلأنها كسائر المواهب التي منحها الله لهذا الإنسان، بل تزيدُ عليها، كونها ممتدّة التأثير والتحكم بالناس وأخلاقهم وعاداتهم وعلاقاتهم، وهي بهذا المعنى والأثر أمانةٌ عَهِدَ اللهُ بها لبعض الناس، يجب حفظها، وحسن التعامل معها، وربطها بالدين والسلوك السوي والتقوى والعقيدة السليمة.

ـ وأما كونها **عنواناً**، فهي مفتونة بالعقل والتدبر، وبوابة للفكر النير، تخرجُ من قلب نازف بالتجربة والخبرة والمعاناة البريئة، لترتطمَ بالقرطاس ذوباً لطرف قلم أقضّته مضاجعُ الغفلة، وكظمت غيظَ عواطفه كلماتُ الله وتعاليمُه، فهي كما قال زياد: «**ما قرأتُ كتاباً قطّ لرجلٍ إلا عرفتُ مقدارَ عقله فيه**».

أو كما قال طُريح بن إسماعيل: «**عقولُ الرجالِ في أطرافِ أقلامها**».

أو كما وجّه يزيدُ بنُ المهلّب ابنَه حين استخلفه على خُراسان فقال له:«**إذا كتبتَ كتاباً فأكثرِ النظرَ فيه، فإنّما هو عقلُكَ تضعُ عليه طابعك**»[١].

وفي قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩] مندوحة عما سواه في إثبات أنّ الكتابة أمانةٌ، وأنَّ الكاتب رقيبُ نفسِه، وحسيبُها على ما يخطُّ يراعه؛ لأنَّ الويل ينتظره إنْ لم يؤدِّ الأمانةَ، كما علّمه الله إياها، ولذلك أردتُ في هذه السطور أن أعودَ لأؤكد على امتلاك العقيدة السليمة لعقل ويراعِ الكاتب، التي تتحكّم بسلوكه، وتوجّه موهبته، وتبني خبرته، وتصنعُ خياله وعبقريته، ليصبحَ إذا خطَّ بيده فكره كما وصفه ابنُ المعتز في شعره:

إذا أخذَ القرطاسَ خِلْتَ يمينَه

تَفَتَّحُ نَوْراً[٢] أو تَنظّمُ جَوْهَرَا

---

(١) من كتاب: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ص١٠٠.

(٢) النَّوْر: الزهر.

- محاولات لاكتشاف الحقيقة بعيداً عن العقيدة:

قال ابن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر): «إنّ التكليفَ هو الذي عجزت عنه الجبالُ، ومن جملته أنني إذا رأيتُ القدر يجري بما لا يفهمه العقل، ألزمتُ العقلَ الإذعان للمقدّر، فكان من أصعبِ التكاليف، وخصوصاً فيما لا يعلم العقل معناه؛ كإيلام الأطفال، وذبح الحيوان، مع الاعتقاد بأنَّ المقدِّرَ لذلك والآمرَ به: أرحم الراحمين»(١).

إنّها خلاصةُ عقيدةٍ، العود فيها إلى ما قاله الله وقدَّره، وإلى ما نزل به الوحي وشرحه، وبيّنه رسولُ اللهِ ﷺ، والحقيقة فيها تكون مرجعيتُها قواطع وثوابت العقيدة، وليس الهوى والنزوة، أو العقل الذي نشأ وتربى ونما في حضن الوهم، وأوهام النفس المريضة البعيدة عن الله.

إنّ الحقيقة كل الحقيقة تجدها في راسخات كلمات الله المحكمات، وفي بيان رسوله ﷺ القطعي المحكم، وفيما أجمع عليه المؤمنون في كل عصر ومصر، فلا تجري في البحث عن الحقيقة جَرْيَ مَنْ أعشته كلمات تقال، ويرادُ بها

(١) صيد الخاطر، تحقيق: حسن السماحي سويدان، ط. دار القلم بدمشق، ص٥١.

الخداع؛ مثل قولهم: إنّه لا أحدَ يمتلك الحقيقة! فهذا كلامُ مخاتلٍ فاسدِ الطويةِ، عقيمِ الفهمِ والإدراكِ، ويرادُ به إخراجُك أيها المؤمن من دائرة الاطمئنان والراحة النفسية إلى دوائر التيه، حيث لا تصل بعدَها إلى أيّ يقينٍ، وتمتلئ نفسُك بشتى الأمراض، وتمتلك أَمرَك دواخلُ متقيّحةٌ متعفنةٌ، غافية في طين لا ترفع عيناً عن جسد، ولا ترنو إلا من نافذة خيال، لا يغادِرُ النزوات، ولا يفهم الواقع أو يرد عليه إلا من خلال ردّاتِ فعلٍ كتابية، وعلمانية سلبية مبحرة في تلك الدواخل التي شرحنا حالها، وهو ما أراد أصحابُ القول بعدم امتلاك أحدٍ للحقيقة أن يصلوا إليه فوق رواحل من بناء فنٍّ كتابي، جعلوه حركةَ حملت ـ كما قال أحدُ الناقدين ـ : «الآثارَ المدمّرة للواقع» في جريها خلف المثالياتِ النظرية الفلسفية، التي بُنِيَت على مرجعيات تائهة في ضباب العقل البشري، القاصر عن إدراك سرِّ (كيف؟ ولماذا؟) في كثير مما يدور حوله.

لذا يجب تنبيه الكاتب المؤمن إلى هذا المعنى الخطر، كي يحمي نفسه بالاطمئنان إلى الحقيقة المركوزة في عقيدته، كما وجب التأكيدُ على ذلك أكثر من مرة، من أجل تنبيه وعيه بمهمتين موكولتين إليه في هذا الخضم، ينمّيهما بالمران والتجربة:

أولاهما: سيرُه دائماً إلى الأمام.

وثانيهُما: تعلُّقُ بصرِه وخياله بخدمة الإنسان الحثيثة في مهنته.

٣ ـ انتفاش الباطل:

وينتفشُ الباطل، ويفردُ ريشه، وذلك من أجل إحباط الحق الذي تحمله أيها الكاتب المؤمن، فلا يغرنك تقلّبه في البلاد، ولا يوهنَنَّ عزيمتك أنك ترى وتسمعُ وتشاهدُ حفلات «الزار»، تقامُ في شتّى الأرجاء، من أجل تكريم الشذوذ والاعوجاج، في محاولات لحرفِ مجرى نهرِ الحقّ، وجعلِه معزولاً عن التيار.

ويتجلّى هذا الانتفاشُ بصور شتى منها:

أ ـ **الصخب الإعلامي**، الذي يثار حول هذا الكاتب أو تلك الشخصية، بحيث ينقلب الفنُّ إلى صفقاتٍ تديرها عقولٌ وأيدٍ مشبوهةٌ، تبتغي الترويج لمن يقدم الخدمة الأكبر لأصحاب اتجاهات الهيمنة، واستغلال الإنسان عامةً لغايات أنانية فردية، أو للون معين من البشر.

ب ـ الدعمُ والحمايةُ المباشرةُ لمن يخدم بقلمه فكرَ الهيمنة، ويروِّج له ولصوره العملية الحياتية الباطلة، وذلك عن طريق دعم وتسهيل سبل الانتشار، ودعم وتسهيل وسائل الاختراق للمجتمعات، من أجل قيادتها نحو الالتزام بالباطل بعد بروز صورته المنتفشة.

جـ ـ جواز المرور المفتوح إلى كلِّ المناصب القيادية والثقافية، وإلى الهيمنة على معظم وسائل الإعلام الفعّالة، بحيث يصبح الباطل من خلال هذه الترتيبات طعام الناس وشرابهم، الذي يشاهدونه ويسمعونه ويقرؤونه ليلَ نهارَ، ليحاط بهم من كل الاتجاهات، فلا يرون إلا ما يرى أهل الباطل المنتفش على طريقة فرعون الموصوفة في القرآن الكريم: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]..

وبهذا يتيه السلوك العام وينحدر، وتلهث السرائر والعلانيات البشرية خلف السراب المقروء والمسموع والمرئي، المبتغي تدمير هذا الإنسان، وجعله ترساً يدور لخدمة الآلة الصماء الكبرى، التي تاهت هي الأخرى خلف شهوة الحياة والرفاهية غير المتوازنتين، وغير المدركتين لمعنى الوجود الإنساني الحق في هذا الكون.

- تهافت ما يُكْتَبُ بعيداً عن القضية:

مضت عقودٌ طويلةٌ منذ انطلاق هرطقات كتاب (في الشعر الجاهلي)، و(مستقبل الثقافة في مصر) لطه حسين، ومروراً بـ(بالإسلام وأصول الحكم) لعلي عبد الرازق، وترتيبات سلامة موسى، وتخرصات لويس عوض، و (تحرير المرأة) لقاسم أمين، وانتهاءً بديكتاتوريات العلمانيين واليساريين، ومحاولات إقصائهم الإسلام، وتصفية كلِّ مَنْ ينادي به مرجعاً كاملاً صالحاً شاملاً لكل مجالات الحياة.

ثم محاولاتهم اليائسة لدسِّ السم في قراءات الناس ومشاهداتهم عن طريق الإبداع الأدبي الموبوء بالخنا والاعتداء على المقدّسات والمسلّمات الإسلامية، والترويج لكلِّ ذلك خدمةً للفكر التدميري، الذي يبتغي إقصاء أمتنا وتهميشها..

غير أنَّ كلَّ هذا الغثاء المتهافت من الفكر والسلطوية، وما يزعم أنّه «أدب»! لم يستطعْ أن يغيِّرَ مسارَ الإسلام في تأثيره على مجتمعات المسلمين، واحتضان المسلمين له بعقولهم وقلوبهم وعواطفهم، وفي كثيرٍ من تحركاتهم اليومية.. وذلك رغم ما قدّم له من دعمٍ مالي وإمدادٍ إعلامي، وترويجٍ

سوقي، وتسهيلاتٍ مرورية إلى سطح الحدث، وأخيراً ما قدّم له من احتضانٍ سلطوي، سخّر في خدمة القمع والفردية.

فهل لذلك الإخفاق من سبب؟..

نعـم.. فإنَّ الانطلاق في الكتابة بعيـداً عن المعرفة الربانية الحقة والعقيدة الإسلامية الربانية ومصدرها الأول والأساسي، يوشـك أن يقـودَ هؤلاء الناس إلى البـوار والخبال في ميادين الحيـاة، ممّا يجعلهم يتخبّطـون ويهيمون على وجوههم جرياً خلـف الأجوبـة الضالّـة الحيرى على الأسـئلة الكبـرى، التي تواجه الإنسانَ عن حياته، وما يعتريها من مفارقات وملابسات وتقلبات، وعن مصيره ومآله، وما يعنيه هذا المرور القصير به في الدنيا.. وباختصار: عن موته وحياته، مرضه وصحته، فقره وغناه، وصعود الأمم وزوالها.. إلى آخر ما هنالك من أسـئلة لن تجد لها جواباً حقّاً إلا إذا رسـخت عقيدةُ الإسلام السهلة البسـيطة فـي صـدرك وقلبك، وانطلـق فيها عقلُـك وقلمُك.. لأنَّ الفلاسـفة والمفكريـن العقلانيـن الذين أعملـوا عقولهم، وأنهكـوا فكرهم بحثاً وتقليباً لوجهـات النظر في الأمور التي ذكرناهـا جميعـاً بدون الهدايـة الربانية، لم يكتـبْ واحدٌ منهم جواباً يسدُّ جوعةَ الناس لمعرفة الأجوبة السديدة..

واستمرّت الحيرةُ والظلمةُ تسدُّ أفق جميع البعيدين عن المعرفة الربانية، وظل المسلم المؤمن وحده ـ كاتباً كان أم أُميّاً ـ هو صاحب الطمأنينة والراحة النفسية المتولّدة عن الإجابات الشافية المهتدية الصادرة عن كتاب الله ينبوع المعرفة وأصلها..

ورغم أنّ ورثةَ الركامِ الفكري والمعرفي غير المستمد من الينبوع يصولون ويجولون اليوم بالمعارف المادية العلمية والتقنية، فإنّهم في الحقيقة يقفون مذهولين أمام الاطمئنان اللامحدود الذي يتربّعُ داخل حياة المؤمنين، رغم قصورهم التقني، ذلك لأنّ إجاباتهم السريعة والواثقة عن كلِّ الأسئلة المحيرة، تَشْدَهُ أولئك العابثين، وتبعثُ فيهم ردّاتِ فعلٍ غير متعقّلة، بل خرقاء حمقاء متكبرة، تصدر عنها كتابات ذات صورة أصلية غائمة السحنة، تائهة المعالم، وصورة مقلدة تابعة.. فهي أشدُّ تيهاً من الأصلية، وأعظمُ في الضياع منها..

ففي حين يقول رب العزة في محكم تنزيله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فيحدد هذا الكلام معنى الحياة والعالم وغايتهما بأنّهما مخلوقان لغاية عبادة الله

وتسبيحه وذكره وترقي وسائل ذلك كلّه ما امتدّ الزمن، تجد رجلاً مسلماً ذا شأن في الكتابة والفكر ـ مثل: أحمد أمين ـ يقلد الصورة المستوردة للمعرفة التائهة، ليسجّل على نفسه في كتابه (فيض الخاطر) أفكاراً ممسوسة بالبعد عن الله(١)، مثل: «لترى كيف تلعبُ الطبيعة بالإنسانِ لحفظ النوع»(٢)، أو مثل: «وكلّ ما وضع من مبادئ أخلاقية، وقواعد قانونية، إنّما دفعت إليه الطبيعةُ لخدمة هذه العناصر الثلاثة»(٣) أو مثل تقريره أنَّ العلم كله يعمل كوحدة من أجل غاية واحدة هي «تحسين النوع»(٤).

فالطبيعة هي المحركة، والغاية تحسين النوع.. وأين إذن الأجوبة الشافية؟ لا شيء سوى الدوران في المكان ثم في الخيال، ولا يتّسع المقامُ لأمثلةٍ كثيرةٍ من الكتابات العقيمة، التي لا تقود إلا إلى التردي بنوعية الإنسان، نتيجة لانحياز الكاتب إلى المصدر السقيم للمعرفة.. هذا والله أعلم.

* * *

(١) انظر: عصر ورجال، للأستاذ فتحي رضوان: ٢/ ٢٣٥. (ن).
(٢) فيض الخاطر، ص٦٣، ط ٥، نشر مكتبة النهضة ـ مصر.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر السابق نفسه.

الفصل الخامس

خطوط الارتقاء

١ ـ لماذا؟ وإلى أين؟،

إذا تداعـت الأكلة، وانتبه المغرضون، وألقاك التيّار على شـواطئ قاحلة، وسـاقتك الأقدارُ إلـى عيشِ أيـامٍ مزدحمةٍ بالعنـت، وإلى خوض غمار سـاحات مغزوّة بكلٍّ ما يزدري العقـول من فكـرٍ وكلامٍ وكتابةٍ وكتّابٍ؛ فأنـتَ مِنْ أيِّ جهةٍ نظـرتَ وجـدت عجبـاً، يرش النهـارات رماداً أغبـر، ويهيلُ على الحقيقةِ الناصعةِ سـيلاً من الحُلكـة والتضليل، يحاوِلُ التهام الشمس في رابعة النهار.

هناك ينبت في حقول موهبتك غصنٌ يهفو إلى الينبوع، وترتفـع فـي جنباتـك صيحـات نهـوض تبتغـي الارتقاء بالرد، وتعلو وجنتيكَ حمرة حمية في لون البدر، ونعومة النـدى، ولفـح الشـمس، تطلبُ كلُّهـا ثأراً لوهـج الحق، يحرق إملاقَ الغزو، ويدفنُ رمادَ الحُلكة بسـاطع الحرف ورُواءِ الفكر.

أفـلا تـرى معي أيها الكاتب أنَّ كلَّ هـذه الغايات كافيةٌ لصنع جواب: لماذا الارتقاء؟.

لكنّ سؤال (إلى أين؟) لا يدعك تستريحُ من الكدّ، فها هي مستحقات النجاح تتمطّى في أفق عينيك، تاليةً عليك سـؤال أولويـة النهـوض قائلة: إنّـك تبدأ فجـراً، وتكدّس أحلامـاً، وتكابِـدُ حرجَ الوقت، فهلا علمـت إلى أين أنتَ مـاضٍ في الارتقاء؟.. إذا علمتَ ذلـك، وأيقنتَ أنَّ الخط الـذي تسـير فيـه، يجـب أن يكون صاعـداً، ولكـي يكون كذلـك يجـب أن تتجلّى فيـه عبقريـةُ الإضافة الملموسـة الواعيـة، لا المراوحة عند المشـاركة العاديـة التقليدية في الحوار الراهن، عندئذٍ لا بدَّ أنك سوف تردّدُ مع د. محمد منـدور: «**إنّ العبقرية قـدرةٌ إيجابية فعّالة، وبغيـرِ الإيجابيةِ لا تسـتطيعُ أن تعيشَ، وأن تثمر، وأمّا الهروبُ أو التسـكّعُ فمن خصائص أشباه العبقرية لا العبقرية ذاتها**»[1].

وإذن فـإنَّ الإضافـة الإيجابيـة العبقرية، هـي المطلوبةُ، وهـي المفيـدةُ في تحقيق المضي قدمـاً في الارتقاء، حتى يبلغَ قلبَ التأثير وذرى الرد على إملاق الغزو.

(١) النقد والنقاد المعاصرون، ص ٢٣٨.

٢ ـ كيف تستقلُّ خط الصعود؟:

ينطلق حِسُّ الكاتب المؤمن من موقف محدّدٍ تجاه كلّ ما حوله، وهذا الموقفُ مبنيٌّ على وعي كامل، مرجعيته ذاكرة تحتوي الماضي والحاضر، وتتطلّع إلى قادمٍ يستلهم رؤية الكاتب الإيمانية إلى الكون والإنسان والحياة.

وبناءً على ذلك، فإنّ خط الصعود يتطلّب من الكاتب أن يوفّر لاطلاعه وثقافته ووعيه وموقفه المستلزمات التالية:

أ ـ التأصيل:

ولا نعني بالتأصيل هنا أن تلتزم بمحور المقلدين في المعركة الدائرة بين الحداثيين والمتبعين الحرفيين للتراث الماضي.. بل نعني به: استيعابَ الماضي كلّه، واستحضارَه جاهزاً لفائدة الحاضر والمستقبل في التنظير الكتابي والحركة الفعلية، وذلك مع التفريق بين:

١ ـ ما هو أصلٌ وأساسٌ يبني الموقف ويحدّد الاتجاه، وهو بالذات الإيمانُ الذي يكوّن الشخصية ورؤيتها وهدفها وحدود حركتها، ويترأس عملية الوعي الجمعي

والفـردي بكاملهـا لـدى الكاتب المؤمـن، ويشـكِّلُ القضيةَ الأولـى والأخيـرة في حياته، ونصوص هـذا الأصل ثابتةٌ لا مجـال للحركـة داخلهـا إلا للفهم والتمثـل والتنفيذ... فهي بمثابة الرأس الموجّه لكلِّ حركةٍ وسـكنةٍ، واسـتيعاب ذلك، والانطلاق منه أصل أصيل في حركة الكاتب المؤمن.

٢ ـ ومـا هـو مـن نتاج العقل البشـري؛ فقهـاً كان أم أدباً، علماً كان أم عمراناً، وثقافةً كان أو فكراً وفلسفةً، وهو الأمر الثاني الذي يجب على الكاتب المؤمن أن يؤصّل به مسـيرته الفكريـة أو الإبداعيـة أو الأسـلوبية، من خلال عمليـة انتفاءٍ وارتقاءٍ وتوظيفٍ إيجابي فعّالٍ لهذا التراث، بما يجعلُ الحياةَ متواصلـةً متطـوّرةً، والتاريخ سَـلِس الانتقـال، منفتِح الآفاق، والآخرة متّصلة بحركة الإنسان فوق الأرض، دون أي انقطاع.

والخلاصة: إنّ مستلزم التأصيل يفرضُ نفسَه على الكاتب المؤمن من ناحيتين:

الأولى: وهي واجبةٌ مفروضةٌ تقتضيها أوليات الإيمان أصلاً، كما توجبها معرفة أصول الإيمان وحدوده وقواعده وأسسه.

الثانيـة: تقتضيهـا طبيعـةُ التركيـب الثقافـي والعلمي عند الكاتـب، فهـي تتطلّـب وجـودَ عمليـة تواصل مـع التراث تؤسّـس لعمليـة البنـاء، وذلـك كـي يقـومَ البنـاءُ الثقافـي والفكري للكاتب متيناً راسخاً متواصلاً في أسلوبه وشكله، لا تشـوِّه عمارته قفـزاتٌ تجعله متصدّعاً مليئـاً بالمفارقات غيـر المفسـرة، ولا المسـوغة، ولا المفهومـة أصـلاً، أو تنقلـه إلى الإمّعيـة أو الانبهارية اللتيـن تذيبان الخصوصية، وتذهبـان بالكاتـب بعيداً عن محيطـه وجمعه، ليصبحَ كمن يلقي خطابه في الفراغ الأصم.

وأكثـر ما يعتمد في هـذا التأصيل البنائي، ويكون أعظم تأثيـراً، وأجمل تكويناً كتاب الله وحديث رسـوله ﷺ، فهما أولى ما يتّجه إليهما الكاتب المؤمن لصقل قلمه، وتفصيح لسانه، وتنوير عقله وفكره.

ثم يأتي بعدهما في هذا الشأن ديوان الشعر العربي والإسلامي، وكتابات ونتاج فصحاء العرب وكتّابهم على مدى العصور، فضلاً عن منتجات مفكريهم وفلاسفتهم الراشدين وعلمائهم الموزونين..

فأنتَ إنْ امتلكتَ نواصي تلك الأسس، ودرّبت لسانك وقلمك، وثقفت عقلك وفكرك بها.. ضمنت لنفسك الفصاحة والحجة والبلاغة التي تحتاجها فيما أنت قادم عليه من مهنة الدعوة الرسالية بالقلم، ومكّنت لقدمك في هذا المضمار، فإنّ أخوفَ ما يخاف منه داعية القلم واللسان ذلك القصورُ عن إيصال القول الذي تسبّبه ضحالةُ التأصيل الذي ذكرنا، ولتعرف قيمة هذا الأمر اقرأ معي دعاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي * وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُواْ قَوْلِي﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨].

أو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ مُرْجِعاً علّة طلبه شدّ أزره بأخيه إلى ضعف فصاحته: ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ [القصص: ٣٤]..

وارجع إلى قول الشاعر أُحَيْحَةَ بن الجُلاح:

والـقـولُ ذو خَـطَـلٍ إذا
مـا لـم يَكُـنْ لُـبٌّ يُعِيْنُهْ(١)

---

(١) البيان والتبيين: ١/ ٩، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ولتتّعظ في هذا بدعاء الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) في بداية كتابه (البيان والتبيين)؛ إذ يقول: «اللَّهمَّ إنّا نعوذُ بِكَ من فتنة القول، كما ونعوذُ بك من فتنةِ العملِ، ونعوذُ بكَ من التكلُّفِ لما لا نُحْسِنُ، كما نعوذُ بك من العجبِ بما نحسن، ونعوذ بك من السلاطة والهَذَر، كما نعوذُ بك من العِيِّ والحَصَر، وقديماً ما تعّوذوا باللهِ من شرِّهما، وتضرّعوا إلى اللهِ في السلامة منهما»[1].

إنّه دعاءٌ يطلبُ من الله أن يصحّحَ اللسانَ ويؤصّله، ويصلح القلم ويكمّله، ويخلصه من النواقص والعي والحصر، فهذه المطالب هي عدّة الداعية، ومركبه إلى النجاح.

ب ـ الحضور:

وأمّا الحضورُ فهو المستلزَمُ الهام الثاني، الذي يجبُ أن يوفّرَه الكاتبُ لنفسه ولقلمه، كي يبقى صاعداً في سلّم الارتقاء الزماني والمكاني.. ونعني بالحضور:

١ ـ **رحلة في العصر**: تجعله ابن وقته، الذي يجاري ببيانه فرسانَ عصره، مرتقياً هامات الكلم الحق، مستمعاً في هذا

(١) المرجع السابق، ص٧. **والسلاطة**: طول اللسان، **والهذر**: الكلام الكثير الرديء، **والحصر**: العي في المنطق، **والعي**: ضعف النطق.

الشأن إلى كلام الجاحظ: «وإن كنتَ ذا بيانٍ، وأحسستَ من نفسِكَ بالنفوذ في الخطابة والبلاغة، وبقوة المنّة يومَ الحفل، فلا تقصّر في التماسِ أعلاها سورة وأرفعها في البيان منزلةً»[1].

وذلك طبعاً مع ملاحظة ما يلي:

- قالتِ العربُ: **«مقتلُ الرجلِ بين لَحييه وفكّيه»** أي: في لسانه، لذا وجب حِفْظُ اللسان والقلم بالحكمةِ والعقلِ، وتجنيبهما الخطلَ والتزيُّدَ، والتكلّم أو الكتابة التي لا تراعي الأفهام والظَّرْف، أو المتلقين وحاجاتهم وما يدركون؛ فقد قال رسول الله ﷺ: **«أيها الناس! قولوا بقولكم، ولا يستفزنّكُم الشيطانُ، فإنّما أنا عبدُ الله ورسولُه»**.

وقد كان هذا القول من الرسول ﷺ ردًّا على وفد من العرب حاولوا مدح رسول الله ﷺ بتزيُّد..

- وقال أبو العتاهية:

والـصَّـمـتُ أجـمـلُ بالفتى

مِنْ مَنْـطِـقٍ في غـيـرِ حِـيْـنِـه

(١) المرجع السابق: ١/ ١٣٩.

وكان سهل بن هارون يقول: «**سياسةُ البلاغةِ أشدُّ من البلاغةِ، كما أنَّ التوقّي على الدواء أشدُّ من الدواء**»[١].

فلكل كتابة سياسة يجب أن تستوعبَ الظَّرْفَ، وتغرف من معارف العصر، وتتوقّى من الغياب عن واقع الحال، أو الغموضِ المُذْهِبِ للفهم، والرأي الذي يجيء في غير وقته، وعلى غير ارتياح من ذهن مستمعه.

والخلاصة: أنّ رحلةً في العصر تستوجِبُ الاطلاعَ عليه، واستيعاب أحواله ومآلاته وحراكه، والأخذَ بسياسةٍ في الكتابة واضحةِ الأسلوب، لاحبةِ الطريق، محددةِ الهدف، بعيدةٍ عن الخبط العشوائي، وكلُّ ذلك يحتاجُ إلى التبيُّنِ والتثبّت، والحذر من الزلل في الكلام والرأي، فضلاً عن الموضوعية والحلم والعلم والتعلم[٢].

٢ ـ ومعرفة بقدْر النفس وإمكانياتها: قال أفلاطون: «**لكلِّ تربةٍ غَرْسٌ، ولكلِّ بناءٍ أُسٌّ**».

---

(١) المرجع السابق: ١/ ١٣٧.
(٢) المرجع السابق: ١/ ١٣٦.

وقال الشاعر:

إذا لم تستطعْ شيئاً فَدَعْهُ

وجاوِزْهُ إلى ما تَسْتَطِيْعُ

فاحرصْ على هذه المعرفة بدقةٍ، فهي منجيةٌ من الحرج والسقوط والهلاك، وانظر إلى قول الشاعر بتأمُّلٍ:

يموتُ الفتى مِنْ عثرةٍ بلسانه

وليس يموتُ المرءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ

٣ ـ ومعالجات تطرقُ أبوابَ القلوب بقوّةٍ: فقد قيل في كلام قاله المأمونُ في مسألةٍ: «**كان ـ واللهِ ـ كغيثٍ وقعَ على أرض عَطْشَى**»[1].

وقال المتنبي عن الكلام المؤثّر:

إذا ما صافحَ الأسماعَ يوماً

تبسّمَتِ الضمائرُ والقلوبُ

فكيف يتحقّقُ لك ذلك السحرُ من الكلامِ يا صاحِ؟..

(١) محاضرات الأدباء، ص٦٠.

ـ بمتابعة أحوال الناس، ومعرفة قضاياهم واهتماماتهم، وتناول ذلك كله في المعالجة.

ـ معرفة الظَّرف المناسب، والوعاء المناسب للكلام المعالج، بحيث يكونُ الكاتِبُ كالطبيب الحاذق يعرف أين يضع دواءه، وكيف ينتفع به.

ـ الابتعاد عن اجترار الأفكار والحلول، والإعادة والردّ، والمراوحة عند ما هو مطروحٌ من معالجاتٍ، وإن كان بأسلوب جديد.. وهذا يعني الابتكار.

ـ أخذ زمام المبادرة دائماً ما أمكن ذلك، فالبادئ هو صاحب السبق ومحور الحوار، وقلّما تجور عليه الساحات.

ـ تسجيل كلّ ما يمرّ بك، وكل ما تسمع وما ترى، ولا تعتمد على الذاكرة، فقد تخونك.. وأنتَ بعد ذلك بالخيار، تنتقي من الموضوعات والقضايا ما يلائم اللحظة، وما يغطي الفكرة.

ج ـ التفوق بالإضافة:

١ ـ وأوّل إضافةٍ تتفوّق بها أيها الكاتبُ المؤمن أن تكون كلمتك هي موقفك، يبرز منها صلاح أمرك، وعلو خلقك، وصدق حالك؛ فقديماً قال عُتبةُ بنُ أبي سفيان لمؤدّب ولده: «**ليكن إصلاحُك لولدي إصلاحُ نفسِك، فإنَّ عيونهم معقودةٌ بعينيك...**».

٢ ـ والثاني من أدوات التفوق بالإضافة أن تكلّم الناس بما هم في نَهَمٍ إليه، وشوقٍ إلى سماعٍ وقراءةِ الرأي السديد فيه.

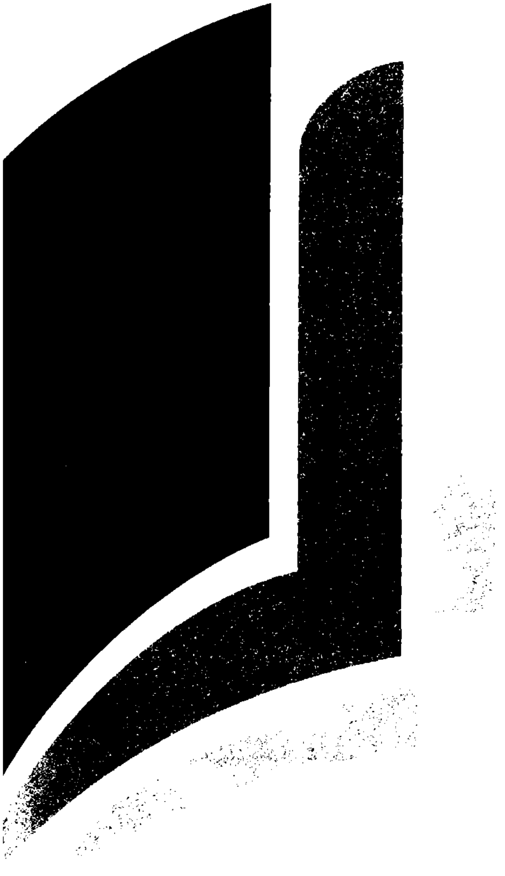
٣ ـ واجعل دائماً الحقَّ ضالَّتك، والسدادَ مطلبَك، والمراءَ منبوذاً عندك، والصدقَ ديدنَك، ونبذَ الشتائم مذهبَك، تكن من المتفوّقين القريبين من القلوب والعقول.

٤ ـ واستفد من صنع غيرك، ولا ترفع الأنف، فإنَّ الحكمةَ ضالّةُ المؤمنِ أنّى وجدها فهو أحقُّ الناس بها.

٥ ـ واطرُقِ المعالجة البكر السديدة تفز بالنتيجة، وتقرّ عينك بالإضافة الجديدة، وتحرز التفوُّق والقبول، وتُقْبِلُ

عليك العيون بالمتابعة والاهتمام، وتأخذ مقامك المتقدم بين أضرابك من أهل الكتابة والآداب.. فضلاً عن شدِّ أزرك بالتوفيق.. والله تعالى أعلم.

* * *



الفصل السادس

حديث في الأسلوب

١ - الأسلوب هو الرجل،

أصبحتَ الآن على ثُغرةٍ، وغدوتَ تمتثل لروعة حديث نبيك ﷺ، فتدفعكَ الحميةُ الإيمانيةُ إلى الالتزام بمطلبها: «**فلا يؤتينَّ الإسلامُ من قبلك**».

وعندئذٍ لا بدّ أنّك تسمعُ حفيفَ الحَرْفِ يناوشُ قلبك، وخفق الكلمةِ الندي الناعم يراودُ شفتيك، لينطلقَ مخطوطاً يسطّره طرفُ قلمك، فتمتلئ نهاراتك بحبّ مهنتك، وتضج المعاني في أرجائك، مبتغية الصعود إلى هامات العلا، وامتلاك أسرار البيان المصفى، وارتقاء كاهل الاستكشاف في عالم التميز وعالم نيل المراتب، اللذينِ يبتعدانِ بك عن السقوط في دنيا التقليد المزري لموهبتك، والقاعد بك عند حدود الرضا بالقليل من الاهتمام بما تقول وتكتب، والرديء المكرّر من المعاني والأفكار؛ وهي حدودٌ كما ترى لا تليق بمن أراد المضي خفيفاً من المؤن والأثقال ومطالب الجسد، كي يكون

ارتقاؤه إلى القمة هيناً ليّنَ العريكة، إذ إنّ تخفيفَ المؤن يحثُّ صاحبه على نيل المراتب، كما قال ابن الجوزي[١] رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأنـت فـي كلِّ هـذا مدعـوٌّ إلى التيقـظ لجملة قيلـت قديماً: «الأسلوبُ هو الرجلُ»، ولا أظنك إلا راغباً في أن تكون الرجل المتميـز، الـذي يبتعـث المعانـي والأفـكار فـي الألفـاظ الحيـة المتناغمـة المنسـجمة مـع مسـتويات المسـتقبلين، ولا تريد أن تكـونَ الحـرف البليد، الذي يسـاكن الوحشـة والغربة، ويضرب الأمثـال العاجزة عن الوصول، ويبعـث الصور القابعة في أغوار أصحابهـا، لا تغـادره إلا لترتـد إلى صدره وقلبه وعينه؛ حسـيرةَ المردودِ، مبحوحةَ النداء، واهنةَ الخُطا في عالم التأثير والإجابة.

وإنك إذن داخلٌ من بوّابة لتفلَّ جحافل الكلمات، وتمتلك أسباب الابتكار في دنياها، وتصنع من عالمها ما يجعلك تفرشُ الأزهار في طرقاتها، وتنثر الدرَّ في ساحاتها، وتنوّع الأساليب، فتنتقل بها من واحدٍ إلى آخر (تطرية لنشـاط السـامع، وإيقاظاً للإصغاء إليك)[٢]، وهذا كلُّه يتطلَّبُ منك أن تكونَ يقظَ الحاسّةِ، حاضـرَ اللحظةِ، لاقطاً مجدّاً للعناوين، وصائغاً مجيداً للمعاني

(١) صيد الخاطر، ص٢٢.
(٢) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ص٢٧٥.

بما يميّزك، ومنوّعاً مرناً في الأسلوب، ونافخاً نَشِطاً للحياة في الحـروف، متأمّـلاً طويلاً فـي تراكيب الكلمـات ورصفها جنباً إلى جنب، بما يخترع لك الأسلوب الفرد العالي.. لتحظى من جملة: (الأسلوب الرجل) بأعلى نتائجها، ومغدق ظلها، ويانع ثمرها، حاديك في ذلك كله الإعجاز القرآني، والبلاغة الربانية التـي تمثّلـت فـي كلِّ كلمة وحـرف وجملة وتركيـب، وردت بشكل معجز في النص الرباني الكريم..

ألا تـرى معـي كيف أنَّ الجملـة القرآنيـة: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملـك: ٨] أدخلـت ـ كمـا قيـل ـ ابنَ قتيبـة إلى بوابة الدراسـات البلاغية؟ كون (النص القرآنـي الكريم هو الأمثل لدراسة الصور الجمالية في النص العربي)[1].

٢ ـ الكتابة فيما تحذق:

كي تكونَ كاتباً مفهوماً، تقدِّمُ للناس رؤيتك عن الأحداث والأفكار في هالة مـن الكلمات والتراكيب الجميلة المقنعة الساحرة، يجبُ أن تتذكّرَ أنّ الكاتب لا يبدع ويتفوق إلا إذا دخلَ من الباب الذي يعرفه حقَّ المعرفة، ويحذق في ولوجه

(١) حيوية اللغة بين التحقيق والمجاز، د. سمير أحمد معلوف، ص ٢١٨.

ومعالجة إشكالاته، ويطاوعه قلمُه فيه للسير فوق القراطيس بسلاسة وعذوبة، إذ إنّ فتحَ منافذ كثيرة يستجرُّ الكاتب إلى الضعف والوهن في جميع الأشـكال الكتابية التي يباشِرُها، بينما الاختصاص، وبذل معظم الجهد في التحسين المستمر والتطوير الدائم للموهبة فيما يحذق الكاتب، هو الذي يضعه علـى عتبة النجاح، ثم الإبحار في عالم الإنجاز، الذي يأتي بالقبول ووصول الصوت وسـحر الكلمة والحرف، فالشاعِرُ يجب أن يكونَ جهدُه الأكبرُ في تطوير حرفه الشعري، حتى يصل فيه إلى المستوى المسموع والحضور المؤثر الفاعل..

والروائي أو القاصّ يجبُ أن يكون جهدهما الأكبر في تطوير آلياتهما وتقنياتهما الفنية والموضوعية، وذلك كي يستطيعا فتحَ أبواب القلوب أمام ما يطرحانه من فكر وعمل وتوجهات.

وهـذا الذي قلناه آنفاً ينسـحِبُ حكمُه علـى كلّ لونٍ من ألوان الكتابة أدبية كانت، أم علمية، أم سياسية، أم اجتماعية، أم غير ذلك.

وليس معنى ذلك أن يقفَ الكاتبُ بموهبته عند نوع واحد من الكتابة لا يبرحه، بل إنّنا نقولُ: إنَّ الكاتبَ الذي يجدُ في نفسه إمكانيات للكتابة في موضوع آخر أو مواضيع أخرى،

فعليه أنْ يفتحَ لهذه الإمكانيات نوافذَ تتنفّس منها، وتجلي ذاتها من خلال تلك النوافذ، حتّى إذا حاولت هذه مزاحمة الموهبة الكبرى عنده، كبح جماحها، فأنزلها قدرها، وجعل لها خلوف الوقت والإقدام، في حدود العدل، الذي لا يكبت القدرات، ولا يجور على الحذق.. وإن مراعاة ذلك يشكّل قضية هامة لدى الكاتب المتوازن، الذي يريدُ لكتابته ارتقاءَ مضمارِ التطوّر والتقدّم، واحتلال المواقع المتقدّمة دائماً.

وقد نبّه الجاحظُ إلى قضية معيار للإفهام من خلال الكتابة يقوم على الحذق، (أي: أن يقومَ على معرفة عالية بأساليب العرب في كلامها).

وهذا ما يجعلنا نفهم فهماً عميقاً قسمَ ربِّ العزة بالقلم والحرف: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، كما يجعلنا نفهم الأهمية الكبرى للعلم المسطور بالقلم فوق القرطاس، الذي ذكره ربنا في كتابه الكريم: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤].

وإنّ هذا الحذق بأساليب العرب في كلامها (ويأتي على رأسها ومقدمة أمرها ضبط القرآن الكريم للغة العرب وأدائها وتيسير ذلك لكل العصور)، هو المطلوب الأول للكاتب المؤمن، المقبل على خوض معركة الحرف.

وقد بيَّن الأستاذُ الرافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عواقب الضعف في ذلك، إذ قال: «وأنتَ قد ترى الضعفاء الذين لا يحكمون منطقهم، وما يصنعون بالأساليب المدمجة والفِقَر المتوثقة إذا هم تعاطوها، فنطقوا بها، حتّى ليصيرَ معهم أجود الكلام في جزالته، وقوة أسره، وصلابة معجمه.. إلى الفسولة والضعف، وإلى البرد والغثاثة، كأنما يموت في ألسنتهم موتاً لا رحمة فيه»(١).

٣ ـ وصايا عامة:

أ ـ اتّخذْ من الكتابةِ رسالةً ومهمةً إيمانيتين، تبتغيان تعريف الناس بالطريق الذي يسعدهم، ويخلّصهم من الجري خلف الوهم الذي يسمّونه الحداثة، وهو في الحقيقة الفوضى المؤدية إلى الضياع.

ب ـ التزم حدود الاعتدال والصدق والموضوعية فيما تكتب أو تقول، وابتعد عن التهويل والكلام الذي لم تتيقن من صحته، حتّى لو كان الكلام عن عدوك، وذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص٨١.

ج ـ ابتعد عن أساليب الشتم والإقذاع في الكلام، واجعل كلماتك بمستوى هدفك ورسالتك ومهمتك التي اخترتها لنفسك، واحرص على أن تكون رفيقاً حليماً في غير ضعف، وذلك امتثالاً لتوجيه رسول الله ﷺ: **«إنّ الرِّفْقَ ما كانَ في شيء إلا زَانَهُ»**.

وقوله ﷺ: **«ليسَ المؤمنُ بالطّعانِ، ولا اللّعّان، ولا الفاحش، ولا البذيء»**.

وتوجيهه ﷺ: **«إنّما بُعِثْتُ رحمةً مُهْدَاةً»** و**«إنّما بُعِثْتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ»**.

د ـ اختر من الموضوعات والمعالجات ما يكونُ قريباً من فهم المتلقين، وما يهمهم، ويحاول تقديم الحلول لهذا الذي يهمهم، وذلك مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣].

وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

هـ ـ اجعل وقتَ الكتابةِ عندَ اعتدالِ مزاجك، وفي أحسن ظروفِكَ، وضِمْنَ الساعاتِ التي تتفتّحُ فيها قريحتُكَ، وتتكاثر

فيها التعبيرات والأفكار تكاثراً يجعلُها على أطراف قلمك، وحينئذٍ فإنّكَ لا تجدُ لك بُدًّا من تناوله، وتسجيل خواطرك، فإنَّ ذلك أيسرُ لك، وأسلسُ لعلمك، وأقومُ للسانك وخطك، وأبلغُ في التعبير والتأثير، إذ الكلامُ حينئذٍ يكون عفواً لا تكلُّفَ فيه، ودفقاً تتعاون على ابتعاثه العواطف والأحاسيس والعقل والخيال، فيخرج نوراً متكاملَ الخلقةِ والجمال.

و ـ لا تنسَ أن تمهر عملك بالتوثيق، وذلك بالإكثار من المؤيدات، ولكن دون إسرافٍ، وتزيين الكلام بالأمثلة والأمثال المتداولة، ولكن دون إفراط أو إقذاع أو تطويل.. فإنّ التوثيقَ يدعمُ رأيك، ويشدُّ عضدك، وإنَّ ضربَ الأمثلة والأمثال يفسّرُ قولك، ويزيدُ من وضوحه وبيانه، ويقرّبه من الناس، ويحبّبه إليهم.. وذلك، كما تعرف، أسلوب من أساليب القرآن الكريم في البيان والإظهار والتأثير، فاحرصْ عليه ولا تفوِّته..

وتأمّل جمالَ وقربَ المعنى والمبنى من الأفهام في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

٤ ـ في مفردات الأسلوب:

قال ابن أبي داود: «القلمُ سفيرُ العقل، ورسولُ الفكرِ، وترجمان الذهن»[١].

فلما كانت الكتابةُ سفيراً لعقل الكاتب لدى المتلقين، ورسولاً لفكره، وكانت رسالة ومهمة إيمانية لدى الكاتب المؤمن، فقد وجبَ الكثيرُ من العناية بالأسلوب، والدراية النظرية والعملية بتنوعاته وفتوحاته التي تيسّر الطريقَ إلى قلوب المتلقينَ وعقولهم وعواطفهم وأفهامهم..

وفيما يلي بعض الأمور التي تيسر الأسلوب، وتعلي مقامه:

أ ـ تخير اللفظة الملائمة للمعنى المراد وللتركيب الجملي الذي تريد تسطيره، بحيث تبنى بناءً منسجماً في الشكل والجوهر والموسيقى، وانسيابية المجموع:

كان ابن المقفّع كثيراً ما يقفُ إذا كتب، فقيل له في ذلك، فقال: «إنّ الكلامَ يزدحمُ في صدري فأقف لتخيّره»[٢].

---

(١) محاضرات الأدباء والبلغاء، ص١١٣.
(٢) أدب الكاتب، لابن قتيبة، ص١٠٢.

ب ـ ومن حسن الأسلوب أن تتخير اللفظة **مما يتعارفه الناس في استعمالهم**، ويتداولونه في زمانهم، فلا هي بالوحشية الغريبة المحتاجة للعودة إلى المعاجم، ولا هي بالعامية المغرقة المفضية إلى اللحن[1].

ج ـ **البعد عن التكلف في الأسلوب**، والإغراق في البحث عن الجماليات البيانية على حساب المعاني والمباني، فقد قال شيخ البلغاء الجرجاني: «بحيث إنّه من فرط الشغف بأمورٍ ترجع إلى ما له اسم في البديع إلى أن ينسى أنّه يتكلّم ليُفْهِم، ويقول ليبيِّنَ»[2].

د ـ **توصَّلْ إلى المعنى بأقصر الطرق**، فلا تكثر من الثرثرة والحشو غير المفيد، وذلك من غير إيجاز مُخِلٍّ، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أبغضَكم إليَّ الثرثارون المتفيهقون المتشدّقون**».

هـ ـ **احرص على مراعاة أحوال الناس الذين تكتب إليهم**، وتفقد كلامك كي يكونَ ملائماً بالمقام والمناسبة،

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص٤.
(٢) المصدر السابق، ص ٩.

وهذا هو الأسلوب البلاغي القرآني، كما هو أسلوب البلاغ الرسالي الذي جاء في كلام المصطفى ﷺ، وهو ما قال عنه ابن قتيبة: «مَن سمعَ كلامَ رسولِ الله ﷺ لأيقنَ أنَّ للعربِ الحكمة وفصل الخطاب»[١].

وقد قيل لبعضهم: كيف ترى إبراهيم الصولي؟.

فقال: يولِّد اللؤلؤَ المنثورَ منطقُه، وينظم الدرَّ بالأقلام[٢].

و ـ انتقِ السهل من التراكيب المنسجم مع المعنى دون ركاكة أو نزول في الأسلوب، فقد قال ابن قتيبة: «نستحب له ـ إن استطاع ـ أن يعدل بكلامه عن الجهة التي تلزمه مستثقل الإعراب»[٣].

ز ـ اهتم بالتنقيح ومعاودة القراءة، وذلك ليستقيمَ لك الكلام، وتنسجم الكلمات والألفاظ بعضها مع البعض الآخر، وبالتالي مع المعنى العام المراد، ليصلَ ذلك المعنى إلى الناس بأقصر الطرق وأفخم تعبير، ومن

(١) أدب الكاتب، لابن قتيبة، ص٩.
(٢) محاضرات الأدباء، ص١٠١.
(٣) أدب الكاتب، لابن قتيبة، ص١٧.

مقتضيـات ذلك، أن تبحثَ عن توكيد المعنى بالمترادفات دون تطويـل أو حشـو، واسـتعمل الجُمـلَ القصيـرة فهي أدعـى للفهم والانسـجام ونقـل المعنى بسـهولة.. كما أنه من مقتضيات ذلك العناية بالصنعة دون تكلّف، وأن تسلم العبـارة للعبارة بسلاسـة، ودون اسـتثقال للانتقال من قبل القارئ.

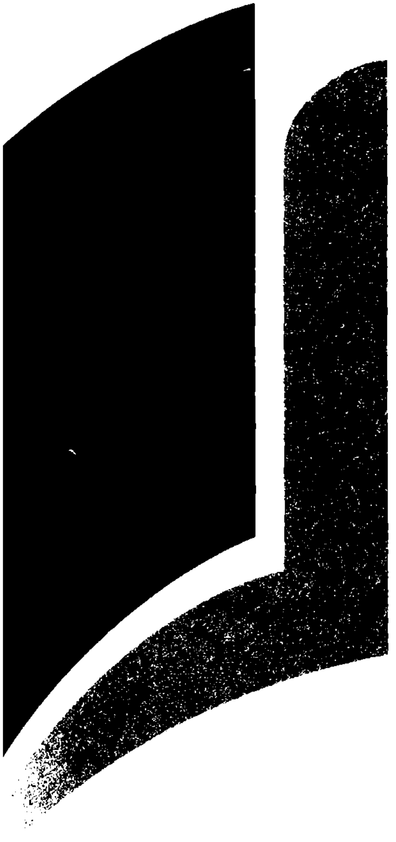
ح ـ **ابتعـد عن تجميد المعنى في الكلمة**، وذلك بانتقاء الألفـاظ المرنـة، ووضعهـا فـي العبـارة الرفيفـة؛ حمالـة الوجوه، مجنحة المعاني، مع مراعاة جنس النص ومناسبته ومكانه وجمهوره.

وبعـدُ: فقـد كنتُ متواطئـاً معك أيهـا الكاتـب الهُمام، حيـن اكتفيـت بهـذا المختصر مـن القول عن الأسـلوب؛ حتـى لكأنني حسـبتُ أنك أعلمُ منّي فـي البقية الباقية من النـصّ المتعلـق بذلـك ومغـزاه العميق، فأنـا لا أُلام على ذلـك الظـن، فـلا إخالك إلا أنك قد حسـبت لكل شـيء حسـابه، فسـيماؤك يقول: إنّك لا تخشـى قطعـان الضلال وأنـت تختـزِنُ كلَّ ذلك الرصيد الـذي جئنا على ذكره مذ بدأنا وحتى اللحظة.

فهل أنت موافقي أنَّ المناوئين لإسلامنا من كتبة السلاطين أو كتبة الهوى لا يملكون في مواجهتك سوى التبشير المتهافت بأنهم الأنبياء الكذبة لهذا العصر؟!..

فاستلَّ قلمك بقوة، وامضِ إلى حيث انتدبك دينك، ولا تخشَ بأس المدَّعين.

* * *



الفصل السادس

النورُ الآن في قَلمِك، ومِلْكُ أنامِلك

١ - مقدمة:

هـا أنت تقف عند بوّابـات الفجر، مفتوناً بأحلام أوقدت العزمَ، واسـتلّت النورَ من قلبِ الصمتِ، لتضعه بين أناملك والقلم.

هـا أنـتَ تطـردُ الآهـات، وتطلِقُ للقلـم العنـان، بعد أن جاءتـك المواهـب مذعنـةً، والتجـارب والخبـرات دانيـةً، والعذب من صولات الذودِ عن الحياض يؤزُّها الشوقُ إلى النور طـارد العتمة، والروح قد أثقلها طولُ البقاءِ عند أقدام المراوغةِ، فانطلقت اليومَ تعدو مع الحنينِ، تلفظُ التقلّب في أحضانِ التردد، والنأي عن الإقدام.

إنّه نور البيان، يطوِّقُ عنقك بواجبِ الصعود بالإنسان إلى شـمس الأنبياء، حيث ضياءُ الهُدى في قبضته سلاح النجاةِ، فـلا تخشَ في هذا السـبيل شـيئاً، وكن «رابـطَ الجأش على

الأغباشِ»، أي: جسوراً في المواقف، مقداماً في اتخاذ القرار في اللحظة المناسبة، لا تهابُ المواجهةَ في الحق وللحق..

فأنت بالكلام الذي تقولُ أو تخطُّ تتعدَّى نفسك، لتفتق عن أزاهير العقل كمائمه، كما قال الجرجانيُّ في (أسرار البلاغة)(١).

وأتركك هنا مع بليغ العربية الجاحظ، يدعو لك ـ أيُّها الكاتبُ الداعيةُ المؤمنُ ـ بالتوفيق والإحسان دعاءً عظيماً بليغاً، وفيّاً بما تحتاجه من أجل انبثاق النور في المعنى الذي تريدُ أن توصل، واللفظ الحامل الجزل.. فقل معي ومع الجاحظ: آمين.. نمهر بها دعاءه البلاغي:

«جنّبك الله الشبهةَ، وعصمك من الحيرةِ، وجعل بينك وبين المعرفة سبباً، وبين الصدق نسباً، وحَبَّب إليك التثبُّتَ، وزيّنَ في عينك الإنصافَ، وأذاقك حلاوةَ التقوى، وأشعرَ قلبك عِزَّ الحقِّ، وأودعَ صدرك بردَ اليقينِ، وطردَ عنك ذُلَّ اليأسِ، وعرّفك ما في الباطلِ من الذِّلَّةِ، وما في الجهلِ من القِلّةِ»(٢).

(١) أسرار البلاغة، ص٢، طباعة دار المسيرة، ١٩٨٣م.
(٢) المصدر السابق، ص٩ ـ ١٠، نقلًا عن كتاب: الحيوان: ١/ ٣.

٢ ـ علاماتٌ هادِياتٌ على طريق الوصول:

أ ـ قال ابن المقفّع في (أدبه الصغير)[١]: «فلينظر امرؤٌ أينَ يضعُ نفسَه».

نعم فلينظر امرؤ مؤمن أين يضعُ قدمه في لحظاتٍ يسودها الظلامُ والضلالُ، وليعرفْ أنَّ ما يعينه على ذلك معرفة المهمة الوحيدة التي خُلق من أجلها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فإذا هو عرف حقَّ المعرفة أنّه موجودٌ من أجل العبادة، وضع نفسَه وقلمَه في هذا السبيل، بأبعاده التي تشمل كلَّ أعمال الإنسان في يومه وليلته، التي من أهمها دلالة الناس على الخير من خلال مهنته كاتباً ومبلغاً عن الله ورسوله ﷺ: **«مَنْ دَلَّ على خيرٍ فله مِثْلُ أجرِ فاعِلِه»، «وَمَنْ دَعَا إلى هُدًى كان له مِنَ الأجر مثلُ أجورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا ينقصُ ذلكَ مِنْ أجورِهم شيئاً».**

فأنتَ يا صاحِ مبلّغٌ بقلمك وحالك، داعٍ إلى هدًى، ودالٌّ على خير..

---

(١) الأدب الصغير، ص ١٦.

فهذا هو مكانك؛ تسـكن في ظلال الكلمة الرفيفة حاملة الهم الإيماني الإنقاذي، تريدُ له أن يلامسَ قلب كل إنسـان بحنوٍّ، يملأُ الكيان بفيض من الفطرة الخافقة في أصل الروح والخلـق؛ فهل عرفتَ أيـنَ موضعك من هذا العالم المحيط بـك، المائـج بـكلِّ عجائـب النفـوس، وغرائـب الدعوات، وضـلال الفكر، واعوجاج المناهـج، وادّعاء الرجال، ودعاة علـى أبواب النـار، تفتـح لهم الأبـواب والأمكنة، وتسـهل لهم سـبل ارتقاء منابر الخطاب، بينما توصدُ تلك الأبواب، وتصعبُ السـبلُ على أصحاب الكلمـة المرجوة لخير الأمة وفلاحها وصلاحها وتقدمها!..

فإذا كنت الآن ـ أو من قبل ـ قد عرفتَ ذلك فالزمِ المكانَ الذي اخترته لنفسك، وابعث فيه الحياة والأملَ، فلا بدَّ أنك حينئذٍ ستجدُ الاستجابةَ المرجوّة لكلمتك.

ب ـ قال الأحنف بن قيس: «مَنْ لم يكن له علمٌ ولا أدبٌ، لم يكن له حَسَبٌ ولا نسبٌ»[1].

---

(١) محاضرات الأدباء، ص٣١ ـ ٣٢.

وقال صالح بن عبد القدوس:

وجامعُ العلمِ مغبوطٌ به أبداً

فلا يحـاذِرُ منه الفوتَ والطَّلَبَا(١)

فأنـت أيُّها الكاتِبُ المؤمن لن تنالَ المنى والمكانَ الذي اخترت، وإحسان الصنعة التي امتهنتَ إلا بالعلم.. فلا تنفكّ عن نشدانه ما دمتَ حيّاً، ولتعلمْ أنَّه مذخورٌ في بطون الكتب وفي خبرات الحياة.. وأول الكتب ورأسُـها وعظيمُها **القرآن الكريـم**، وثانيها **كتب السُّـنَّة المشـرّفة**، ثم الأمثـلُ فالأمثلُ، مما له صلة بهذين الأصلين، ومما له علاقة بالحياة ونفوس البشـر ودنياهـم، وحركات المجتمعات وإدارتها وتحولاتها، وقيام الدول وزوالهـا، وارتقاء الحضارات وانهيارها، وفخر الآداب وعز علومها وتطورها.

فاضبط رغائبك وطموحاتك بكلِّ الذي ذكرناه آنفاً، تكن مستحقّاً للمقام الأعلى، والذكر الذائع المجلى.

ج ـ قال الله جلَّ وعلا في كتابه العزيز: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ...﴾ [الأنبياء: ١٨].

---

(١) المرجع السابق نفسه.

وقال مصطفى صادق الرافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التعليق على هذا البيان القرآني كلماتٍ مجيداتٍ، نقتطِفُ منها ما يلي: «ومعانٍ بينا هي عذوبةٌ تَرْويك مِنْ ماءِ البيانِ، ورقّةٌ تستروحُ منها نسيمَ الجنانِ، ونورٌ تبصِرُ به في مرآةِ الإيمانِ وجهَ الأمانِ.. وبينا هي ترفُّ بندَى الحياةِ على زهرِ الضميرِ، وتخلقُ في أوراقِها من معاني العبرةِ معنى العبيرِ، وتهبُّ عليها بأنفاسِ الرحمةِ، فتنمُّ بسرِّ هذا العالم الصغير..»[1].

لاحظ أنَّ هذا يعني لك الشيء الكثير؛ الذي أوله ورأسُه الأمل والثقة بالتفوق على الباطل، بالحق الذي تحمله، فأنت تقذِفُ في وجه الباطل بالكثير.. فهذا الوثوق يتنزلُ على نفس المبلِّغ مثل ندى الصباح على الورقة العطشى، فبينما تنفح روحك توجُّساً وريبةً في الأسباب، يحملك الوثوقُ على اجتياز مفازات كؤود من التردد والخوف ورياح الخذلان، فلتمعِنِ التأمُّلَ في قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

ولتكرِّرْ قراءة وصفِ الرافعي لهذا البيان العظيم، ولسوفَ تجدُ العافية تجوبُ كلَّ أركان روحك وجسدك،

(١) إعجاز القرآن، ص٣٠، دار الكتاب العربي، ١٩٩٠م.

ولسوف تجد قلبك طارداً بقوةِ القنوطَ، ومنطلقاً بشفافية وضيئة في سبل التحدي للصعاب، ومتدفقاً بأنهار الأمل، مثل ينبوع ثرٍّ نقي متجدد الدفق والصدح والعطاء...

٣ ـ إبداع واقعي:

وأعني بالإبداع الواقعي: ذلك اللون من الكتابة الذي يراعي العصر والمحيط المتلقي، بعيداً عن تتبُّع الغرائب والمفاجآت الملأى بوحشي الكلام وغريبه، المنتهية إلى إيراد الأحداث بشكل بعيد عن أذهان الناس وإمكانية اقتناعهم.

وقدْ سبق لابن المقفّع أن نصحَ أحدَ الكتّاب بقوله: «إياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة، فإنَّ ذلك العيّ الأكبر».

فَأْرَزْ[1] إلى الواقعيةِ البليغة التي تحبِّبُ المطالعة إلى الناس، وتجعلهم قادرين على قطف المعاني واستحسانها..

واعلم أنَّ لكل عصرٍ أسلوباً وطريقةً وشروطاً للبلاغة، يأنس إليها الناس، ويتحرَّوْنَ فيها ضالتهم، فأنتَ إن خرجت

(١) أرزَ: لجأ.

مـن ذلك كله، وتتبّعت أسـاليب عصـر آخر أو أرض أخرى أو مجتمعـات أخرى، من أجـل أن يقال عنك: إنّك أبدعتَ تطويـراً، تكـونُ بذلـك قـد طردت نفسـك من سـاح القبول والإقبال على علمك، وما تريدُ أن توصله إلى الناس.

ولا يغرنّك هذا الضجيجُ أو الفحيحُ اللذان يحاولان أن يسوقا غثاءً من التطوير باسم النهضة أو التنوير، وهما لا يعدوان عندهم أن يصنعا لافتات مضللة زائفة تقول فيما تقول:

ـ الإسلام السياسي الذي يحمِلُ دعاوى سياسية أُلْبِسَت ثوبَ الدينِ، وليست ديناً أُلْبِسَ ثوبَ السياسة[1].

ـ استغلالُ الدِّينِ من أجل الوصول إلى الحكم!..

ـ كلُّ ما هو غربي تنوير.. وكل ما هو إسلاميٌّ ظلامية!..

ـ اللغة العربية يجب أن تتفجر، وتحلَّ محلها لغة مقطوعة الاتصال بالتاريخ!... إلى آخر ما هنالك من اللافتات، التي أخذت على عاتقها مهمة تدمير الأمة وثقافتها ومستقبلها.

---

(١) فرج فودة.. اللواء الأردنية ٤/ ١٢/ ١٩٩١م من كتابه «قبل السقوط».

وقد وجدتْ هذا الادّعاءات الضالة مكاناً، ووجد أصحابُها لهم مكاناً في عقود القرن الماضي الأخيرة.. فكان ضجيجُها وقيادتُها وعلوُّها هو الذي أوصل أمتنا إلى مجموعة الهزائم التي ابتدأت منذ أواخر الحرب العالمية الأولى وحتى اللحظة.

يمكن أن نعدّدَ من هذه الهزائم:

ـ سقوط الأمة في فخ التعاون مع الأجنبي الذي اقتسم الغنيمة بعد الحرب العالمية الأولى (ضد دولتهم الإسلامية الجامعة)، وبعد سقوط الوحدة التي كانت تجمع أقطار وشعوب العرب تحت الراية العثمانية.

وهكذا تشرذمتِ الأمةُ، وانحدرت في مهاوي (سايكس ـ بيكو) وأتباعه، وما جرّ من خذلان صنعناه بأيدينا وبواسطة دعاة (التنوير) منا..

ـ ثم جاءت هزيمة عام (١٩٤٨م)، وضياع فلسطين، وتلتها هزيمة عام (١٩٥٦م) و(١٩٦٧م).. وهزائم الحرب اللبنانية التي غدا الأخ فيها يقتل أخاه.

ـ وعلى منوالها تمت هزائم حربين خليجيتين، كان المسلمُ فيها مقابل المسلم، والعربي مقابل العربي، وضحك

منـا الأعـداء كثيراً.. فقـد كفيناهـم قتالنا، إذ قـام (التنويريون النهضويون) بمهمة إسـقاط الأمة فـي الخندق العميق الذي أتـاح لكلٍّ ما هَبَّ ودبَّ أن يتناوش رؤوسـها، ويقتات على حسـاب ثرواتهـا، يلاحق دعاة الإسـلام والصـلاح والتنوير الحقيقي فيها، تحت غطـاء دعاوى النهضة والتطوير ليرتفع صـوتُ ومكانةُ مَنْ يدعون إلى تفجير اللغة[١].. تلك الدعوة التـي تهـدف أول ما تهـدف إلى قطـع الصلة بكتـاب الأمة الخالـد «القـرآن الكريـم»، وقطع الصلـة بتاريخهـا وتراثها، حتـى وصل الأمرُ إلى الدعوة **لاسـتعمال العامية واسـتعمال الحـرف اللاتيني** بدل الحـرف العربي[٢]، وإلـى اعتبار مصر والمصريين أوروبيين وليسوا عرباً مسلمين[٣].

٤ ـ وبعد:

فإنك بسـلاح الكلمـة مجاهِدٌ، تتحلّـى بالموهبة الأصلية حاضـرةً طوع بنانك وقلمك، شـاهرةً سـيف الكلمة الطيبة، ساعيةً لرفع عبء حياةٍ مهيضةٍ عن كواهل المؤمنين، مارسها

(١) أدونيس.
(٢) سعيد عقل.
(٣) طه حسين.

عليهم جناةُ الكلمةِ الخبيثةِ وما يزالون، فقد ظلَّ الثغرُ خاوياً ـ أو يكاد ـ من الحراس الخُلَّص الأصلاء، الذين يدفعون بكلِّ جهدهم في المعركة، ويفرغون الوسع فيها، مزوَّدين بالمعرفة الشاسعة الأبعاد، والفكر النير السديد، والعزيمة الناضجة الحديدية، حاديهم فيها دائماً وأبداً بعض النصائح، التي يجب أن ترافقك، ما دام نَفَسٌ يتردّدُ بين جنبيك:

أ ـ أن تتأكد أبداً أنك فيما تكتب وما تتكلّم لا تخرج عن حدود الهوية والخصوصية، اللتين تميزان الأمة، وتعطيانها معناها ومكانها ودورها في الوجود.

ب ـ أن تكون دائماً يقظاً وحذراً من الغزو الثقافي والفكري والحضاري للشخصية المؤمنة، فإنّ ذلك يحدث في عصرنا بصور شتى ملتبسة متخفية في أردية باهرة تضيِّع وعي الجماهير، وتستلب في كثير من الأحايين نخبهم ومثقفيهم قبل أن ينتبهوا.

ج ـ ولتتذكر دائماً: أنه كلّما كان المتصدّي للغزو متمسكاً بدين الأمة الذي هو رمز هويتها وقوام وجودها، وعزّ مكانتها.. فإنَّ الهجمةَ تكونُ أشرسَ، ووسائلها تكونُ أعقدَ

وأبعـدَ وأقوى.. ومهمتـك حينئذٍ تكونُ أصعـبَ، وعزائمُك يجب أن تكونَ أمتنَ وأعزَّ.

د ـ ولتكن دائماً ضمن قاعدة الانطلاق، المتمثلة بالاعتزاز بدينك وعقيدتك، وخصوصية أمتك، مليئاً بكثير من مخزون الأمل والتفاؤل والثقة بوعد الله بالنصر والتمكين لهذا الدين في نهاية المآل...

هـ ـ إنهـا أمانة، وإنّك مؤتَمـنٌ، وأنتَ إن لم تؤدِّها حقَّها بالكامـل، فاعلـم أنّـكَ علـى حافـة زيـغ، ينحرِفُ بـك إلى الخزي والندامة.. موشومين بالهزيمة، عاريين من كل حجة.

و ـ فارتشـف أخـي الكريـم مِـنْ رأس النبـع، وأزح مـن طريقـك كلَّ الغثاء والزَّبَدِ، وادفـن إلى الأبدِ جمر الالتصاق بالتـراب والطيـن في أضرحـة التردد، وابعـث بهما بقوة مع خمـود اليأس هديةً إلى الآخر المصارع، راجياً أن يعلي الله بكلمتك كلَّ أمثلةِ الخير وأشرعة النصر..

* * *

الفهرس

الفصل الأول
مكانة الكتابة والكتاب

الفصل الثاني
الموهبة

الفصل الثالث

تنمية الموهبة

الفصل الرابع

السير قدماً: التأكيد المُلِحُّ على العقيدة والسلوك

الفصل الخامس

خطوط الارتقاء

الفصل السادس

حديث في الأسلوب

الفصل السابع

النور الآن في قَلمك وملك أناملك